كتاب الجمهورية

تلبيس إبليس

لابن الجوزى البغدادى

الجزء الثالث

كتاب الجمهورية

يصدر عن

دار التحرير للطبع والنشر

رئيس مجلس الإدارة

سمير رجب

المشرف على التحرير

فاروق فهمى

امتياز الاعلانات :

شركة الاعلانات المصرية

٥ شارع نجيب الريحانى

ت ٥٧٤٩٩٩٩

التوزيع :

شركة التوزيع المتحدة

٢١ شارع قصر النيل

ت : ٣٩٢٣٧٤٩

المراسلات :

كتاب الجمهورية ٢٤ شارع

زكريا أحمد ت : ٥٧٤٩٩٩٦

٥٧٤٩٠٩٠

كتاب الجمهورية

تلبيس إبليس

للحافظ جمال الدين بن الجوزى

الجزء الثالث

التنفيذ الداخلى : صفوت عكاشة

ذكر تراجم الأبواب

الباب الحادي عشر : تلبيسه على المتدينين بما يشبه الكرامات
الباب الثاني عشر : تلبيسه على العوام
الباب الثالث عشر : تلبيسه على الناس أجمعين بطول الأمل

تلبيســـه على الصـــوفية

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبدالباقي باسناد عن احمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول لو توكلنا على الله تعالى ما بنينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقاً مخافة اللصوص . وباسناد عن ذي النون المصري انه قال سافرت سنين وماصح لي التوكل إلا وقتاً واحداً ركبت البحر فكسر المركب فتعلقت بخشبة من خشب المركب فقالت لي نفسي ان حكم الله عليك بالغرق فما تنفعك هذه الخشبة فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعت على الساحل .

أخبرنا محمد قال سألت أبا يعقوب الزيات عن مسألة في التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابني . فأعطى التوكل حقه ثم قال استحييت أن أجيبك وعندي شيء وذكر أبو نصر السراج في كتاب اللمع قال جاء رجل الى عبدالله بن الجلاء فسأله عن مسألة في التوكل وعنده جماعته فلم يجبه ودخل البيت فأخرج اليهم صرة فيها أربعة دوانق فقال اشتروا بهذه شيئاً . ثم أجاب الرجل عن سؤاله فقيل له في ذلك فقال . استحييت من الله تعالى أن أتكلم في التوكل وعندي أربعة دوانق . وقال سهل بن عبدالله من طعن في الاكتساب فقد طعن على السنة ومن طعن على التوكل فقد طعن على الإيمان .

قال المصنف قلت : قلة العلم أوجبت هذا التخليط ، ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا انه ليس بينه وبين الأسباب تضاد . وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده وذلك لا يناقض حركة البدن في التعلق بالأسباب ولا ادخار المال . فقد قال تعالى « ولَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا »(1) أي قواما لأبدانكم وقال ﷺ . نعم المال الصالح مع الرجل الصالح ، وقال ﷺ إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس . واعلم أن الذي أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر ، فقال « خذوا حذركم » وقال « وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ »(2) وقال « أن أسر بعبادي ليلا » وقد ظاهر رسول الله ﷺ بين درعين وشاور طبيبين واختفى في الغار . وقال من يحرسني الليلة . وأمر بغلق الباب . وفي الصحيحين من

---

(1) سورة النساء اية ٥ .

(2) سورة الانفال آية ٦٠ .

من حديث جابر أن النبي ﷺ قال اغلق بابك . وقد أخبرنا أن التوكل لاينافى الاحتراز

أخبرنا إسماعيل بن احمد السمرقندى نا عبدالله بن يحيى الموصلى ونصر بن احمد قالا أخبرنا أبو الحسين بن بشران ثنا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنى أبو جعفر الصيرفى ثنا يحيى بن سعيد ثنا المغيرة بن أبى قرة السدوسى قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول جاء رجل إلى النبى ﷺ وترك ناقته بباب المسجد فسأله رسول الله ﷺ عنها فقال أطلقتها وتوكلت على الله قال اعقلها وتوكل .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبدالجبار نا عبدالعزيز بن على الازجى نا إبراهيم بن محمد بن جعفر نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرنى حرب بن إسماعيل الكرمانى ثنى عبدالرحمن بن محمد بن سلام ثنا الحسين بن زياد المروزى قال سمعت سفيان بن عيينة يقول تفسير التوكل أن يرضى بما يفعل به .وقال ابن عقيل يظن أقوام ان الاحتياط والاحتراز ينافى التوكل . وإن التوكل هو إهمال العواقب وإطراح التحفظ وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذى يقتضى من العقلاء التوبيخ والتهجين ولم يأمر الله بالتوكل الا بعد التحرز واستفراغ الوسع فى التحفظ . فقال تعالى (وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ[1]) (فإذا عزمت فتوكل على الله) فلو كان التعلق بالاحتياط قادحاً فى التوكل لما خص الله به نبيه حين قال له (وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ[2]) وهل المشاورة الا استفادة الرأى الذى منه يؤخذ التحفظ والتحرز من العدو ولم يقنع فى الاحتياط بأن يكله الى رأيهم واجتهادهم حتى نص عليه وجعله عملا فى نفس الصلاة وهى أخص العبادات . فقال فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ[3]) ويبين علة ذلك بقوله تعالى (وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً[4]) ومن علم أن الاحتياط هكذا لا يقال أن التوكل عليه ترك ما علم . لكن التوكل التفويض فيما لا وسع فيه ولا طاقة .قال عليه الصلاة والسلام « اعقلها وتوكل » ولو كان التوكل ترك التحرز لخص به خير الخلق ﷺ فى خير الأحوال وهى حالة الصلاة .

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩ .
(٢) سورة آل عمران اية ١٥٩ .
(٣) سورة النساء آية ١٠٢ .
(٤) سورة النساء آية ١٠٢ .

وقد ذهب الشافعي رحمه الله إلى وجوب حمل السلاح حينئذ لقوله . (وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ)[1] فالتوكل لايمنع من الاحتياط والاحتراز فإن موسى عليه السلام لما قيل له (إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ)[2]. خرج . ونبينا ﷺ خرج من مكة لخوفه من المتآمرين عليه ووقاه أبو بكر رضي الله عنه بسد أثقاب الغار وأعطى القوم التحرز حقه ثم توكلوا وقال عز وجل في باب الاحتياط (لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ)[3]) وقال (لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ[4]) وقال. (فامشوا في مناكبها) وهذا لأن الحركة للذب عن النفس إستعمال لنعمة الله تعالى وكما أن الله تعالى يريد إظهار نعمه المبدأة يريد إظهار وداعه فلا وجه لتعطيل ماأودع اعتماداً على ماجاد به. لكن يجب استعمال ماعندك ثم أطلب ماعنده وقد جعل الله تعالى للطير والبهائم عدة وأسلحة تدفع عنها الشرور كالمخلب والظفر والناب وخلق للادمى عقلاً يقوده إلى حمل الأسلحة ويهديه إلى التحصين بالابنية والدروع ومن عطل نعمة الله تعالى بترك الاحتراز فقد عطل حكمته كمن يترك الأغذية والأدوية ثم يموت جوعاً أو مرضا . ولا أبله ممن يدعى العقل والعلم ويستسلم للبلاء إنماينبغي أن تكون أعضاء المتوكل في الكسب وقلبه ساكن مفوض إلى الحق منع أو أعطى . لأنه لا يرى إلا أن الحق سبحانه وتعالى لايتصرف إلا بحكمة ومصلحة . فمنعه عطاء في المعنى. وكم زين للعجزة عجوزهم وسولت لهم أنفسهم أن التفريط توكل فصاروا في غرورهم بمثابة من اعتقد التهور شجاعة والخور حزماً .ومتى وضعت أسباب فأهملت كان ذلك جهلا بحكمة الواضع . مثل وضع الطعام سبباً للشبع والماء للرى والدواء للمرض . فإذاترك الانسان ذلك إهواناً بالسبب ثم دعاوسأل فربما قيل له قد جعلنا لعافيتك سبباً فإذا لم تتناوله كان إهوانا لعطائنا فربما لم نعافك بغير سبب لإهوانك للسبب وما هنا إلى بمثابة من بين قراحه وماء الساقية رفسه بمسحاة فأخذ يصلي صلاة الاستسقاء طلباً للمطر فإنه لايستحسن منه ذلك شرعاً ولا عقلا .

قال المصنف رحمه الله . فان قال قائل كيف أحترز مع القدر قيل له وكيف لاتحترز مع الأوامر من المقدر فالذى قدرهو الذى أمر. وقدقال تعالى (وَخُذُوا حِذْرَكُمْ)[5] أنبأنا إسماعيل بن احمدنا عاصم بن الحسين ناابن بشران ثنا أبو صفوان ناأبو بكر القرشي ثني شريح بن يونس ناعلي بن ثابت عن خطاب بن القاسم عن

(١) سورة النساء آية ١٠٢
(٢) سورة القصص آية ٢٠
(٣) سورة يوسف آية ٥ .
(٤) سورة يوسف آية ٦٧
(٥) سورة النساء آية ١٠٢

أبي عثمان قال : كان عيسى عليه السلام يصلي على رأس جبل فأتاه إبليس فقال أنت الذي تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر. قال نعم قال فألق نفسك من الجبل وقل قدر علي فقال . يا لعين الله يختبر العباد وليس للعباد أن يختبروا الله تعالى .

﴿ فصل ﴾ وفي معنى ما ذكرنا من تلبيسه عليهم في ترك الأسباب انه قد لبس على خلق كثير منهم بأن التوكل ينافي الكسب . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبدالله قال سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت محمد بن المنذر يقول سمعت سهل بن عبدالله التستري يقول: من في طعن التوكل فقد طعن في الإيمان ومن طعن على الكسب فقد طعن على السنة .

أخبرنا محمد بن ناصر نا احمد بن علي بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت محمد بن عبدالله الرازي يقول : سأل رجل أبا عبدالله بن سالم وأنا أسمع أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل فقال التوكل حال رسول الله ﷺ والكسب سنة رسول الله ﷺ وإنما سن الكسب لمن ضعف عن التوكل وسقط عن درجة الكمال التي هي حاله فمن أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بحال إلا كسب معاونة لا كسب اعتماد عليه ومن ضعف عن حال التوكل التي هي حال رسول الله ﷺ أبيح له طلب المعاش في الكسب لئلا يسقط عن درجة سنته حين سقط عن درجة حاله .

أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبي قال سمعت محمد بن الحسين قال سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت يوسف بن الحسين قال : اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص والكسب فليس يجيء منه شيء .

قال المصنف رحمه الله : قلت هذا كلام قوم ما فهموا معنى التوكل وظنوا انه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل وقد بينا أن التوكل فعل القلب فلا ينافي حركة الجوارح ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين فقد كان آدم عليه السلام حراثاً ونوح وزكريا نجارين وادريس خياطا وابراهيم ولوط زراعين وصالح تاجراً ، وكان سليمان يعمل الخوص وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين وقال نبينا ﷺ كنت أرعى غنما لأهل مكة بالقراريط .

فلما أغناه الله عز وجل بما فرض له من الفيء لم يحتج الى الكسب . وقد كان أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله تعالى عليهم بزازين وكذلك محمد بن سيرين وميمون بن مهران بزازين ، وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز خزازين [1] وكذلك أبو حنيفة . وكان سعد بن أبي وقاص يبري النبل وكان عثمان بن طلحة خياطا . وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمرون بالكسب .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا أبو محمد الجوهري نا ابن حياة نا أبو الحسن ابن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا مسلم بن ابراهيم نا هشام الدستوائي قال حدثنا عطاء بن السائب قال : لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه أصبح غاديا الى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا . أين تريد : فقال السوق قالا تصنع ماذا . وقد وليت أمور المسلمين قال . فمن أين أطعم عيالي . قال ابن سعد وأخبرنا احمد بن عبدالله بن يونس ثنا أبو بكر بن عياش عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال . لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين . فقال زيدوني فان لي عيالا وقد شغلتموني عن التجارة فزادوه خمسمائة .

قال المصنف رحمه الله : قلت لو قال رجل الصوفية من أين أطعم عيالي لقالوا قد أشركت ، ولو سئلوا عمن يخرج الى التجارة لقالوا ليس بمتوكل ولا موقن وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين ، ولو كان أحد يغلق عليه الباب ويتوكل لقرب أمر دعواهم لكنهم بين أمرين أما الغالب من الناس فنهم من يسعى الى الدنيا مستجدياً ومنهم من يبعث غلامه فيدور بالزنبيل فيجمع له . . وإما الجلوس في الرباط في هيئة المساكين وقد علم أن الرباط لا يخلو من فتوح كما لا تخلو الدكان من أن يقصد للبيع والشراء .

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو طالب العشاري نا محمد بن عبد الرحمن المخلص نا عبيدالله بن عبدالرحمن السكري ثنا

---

(1) أي يعملون الخز وهي ثياب تنسج من صوف وابريسم .

أبو بكر بن عبيد قال حدثت عن الهيثم بن خارجة ثنا سهل بن هشام عن إبراهيم بن أدهم قال.كان سعيد بن المسيب يقول من لزم المسجد وترك الحرفة وقبل ما يأتيه فقد ألحف فى السؤال .

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبدالباقى قالا : نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ . قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت جدى إسماعيل بن نجيدى يقول : كان أبو تراب يقول لأصحابه من لبس منكم مرقعة فقد سأل ومن قعد فى خانقاه أو مسجد فقد سأل .

قال المصنف رحمه الله . قلت وقد كان السلف ينهون عن التعرض لهذه الأشياء ويأمرون بالكسب . أخبرنا عبدالوهاب بن المبارك نا أبو الحسين ابن عبدالجبار نا محمد بن على بن الفتح نا محمد بن عبدالرحمن المخلص نا عبيدالله ابن عبدالرحمن السكرى نا أبو بكر بن عبيد القرشى نا عبيد بن الجعد نا المسعودى عن خوات التيمى قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه . يامعشر الفقراء أرفعوا رؤسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبدالجبار نا أبو القاسم التنوخى وأبو محمد الجوهرى وأبو الخير القزوينى قالوا نا أبو عمر بن حياة نا محمد بن خلف ثنا أبو جعفر اليمانى نا أبو الحسن المدابنى عن محمد بن عاصم قال : بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا رأى غلاماً فأعجبه سأل عنه هل له حرفة فإن قيل لا قال سقط من عينى .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبد الله النقال نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن احمد الدقاق نا حنبل ثنى أبو عبدالله نا معاذ بن هشام ثنى أبى عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون فى تجر الشام منهم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد .

أخبرنا عبدالوهاب بن المبارك نا جعفر بن أحمد السراج نا عبدالعزيز بن الحسن ابن إسماعيل الضراب نا أبى نا احمد بن مروان المالكى نا أبو القاسم بن الختلى : سألت احمد بن حنبل وقلت : ما تقول فى رجل جلس فى بيته أو فى مسجده

وقال لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم أما سمعت قول رسول الله ﷺ . جعل الله رزقي تحت ظل رمحي ، وحديث الآخر في ذكر الطير تغدو خماصاً فذكر انها تغدو في طلب الرزق ، قال تعالى (وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ (١)) وقال : (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ (٢)) وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم ولنا القدوة بهم . وقد ذكرنا فيما مضى عن احمد أن رجلا قال له . أريد الحج على التوكل فقال له فاخرج في غير القافلة . قال لا . قال فعلى جراب الناس توكلت .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا ابراهيم بن محمد بن جعفر الناجي نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر احمد بن محمد الخلال نا أبو بكر المروزي قال : قلت لأبي عبدالله هؤلاء المتوكلة يقولون نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل . فقال هذا قول رديء . أليس قد قال الله تعالى . (إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ (٣)) ثم قال إذا قال لا أعمل وجيء اليه بشيء قد عمل واكتسب لأي شيء يقبله من غيره . قال الخلال : وأخبرنا عبدالله بن احمد قال : سألت أبي عن قوم يقولون نتوكل على الله ولا نكتسب فقال . ينبغي للناس كلهم يتوكلون على الله . ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب . هذا قول انسان أحمق .

قال الخلال : وأخبرني محمد بن علي قال ثنا صالح انه سأل أباه يعني احمد ابن حنبل عن التوكل فقال التوكل حسن ولكن ينبغي أن يكتسب ويعمل حتى يغني نفسه وعياله ولا يترك العمل . قال وسئل أبي وأنا شاهد عن قوم لا يعملون ويقولون نحن المتوكلون فقال هؤلاء مبتدعون . قال الخلال وأخبرنا المروزي انه قال لأبي عبدالله أن ابن عيينة كان يقول هم مبتدعة . فقال أبو عبدالله هؤلاء قوم سوء يريدون تعطيل الدنيا . وقال الخلال وأخبرنا المروزي قال سألت أبا عبدالله عن رجل جلس في بيته وقال اجلس واصبر واقعد في البيت ولا أطلع على ذلك أحداً فقال . لو خرج فاحترف كان أحب إلي فاذا جلس خفت أن يخرجه جلوسه الى غير هذا قلت الى أي شيء يخرجه . قال يخرجه الى أن

(١) سورة المزمل آية ٢٠ .
(٢) سورة البقرة آية ١٩٨ .
(٣) سورة الجمعة آية ٩ .

يكون يتوقع أن يرسل اليه قال الخلال وحدثنا أبو بكر المروزى قال سمعت رجلا يقول لأبى عبدالله احمد بن حنبل انى فى كفاية قال إلزم السوق تصل به الرحم وتعود به على عيالك . وقال لرجل آخر إعمل وتصدق بالفضل على قرابتك . وقال احمد بن حنبل قد أمرتهم يعنى أولاده أن يختلفوا الى السوق وأن يتعرضوا للتجارة .

قال الخلال وأخبرنى محمد بن الحسين، أن الفضل بن محمد بن زياد حدثهم قال سمعت أبا عبدالله يأمر بالسوق ويقول: ما أحسن الاستغناء عن الناس . وقال الخلال وأخبرنى يعقوب بن يوسف المطوعى قال ، سمعت أبا بكر بن جناد . يقول : الجصاصى قال سمعت احمد بن حنبل يقول أحب الدراهم إلى درهم من تجارة وأكرهها عندى الذى من صلة الإخوان .

قال المصنف رحمه الله : قلت وكان ابراهيم بن أدهم يحصد وسلمان الخواص يلقط وحذيفة المرعشى يضرب اللبن ، وقال ابن عقيل التسبب لا يقدح فى التوكل لأن تعاطى رتبة ترقى على رتبة الأنبياء نقص فى الدين . ولما قيل لموسى عليه السلام (إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ)[1] خرج ولما جاع واحتاج إلى عفة نفسه أجر نفسه ثمان سنين . وقال الله تعالى (فامشوا فى مناكبها) وهذا لأن الحركة استعمال بنعمة الله وهى القوى فاستعمل ما عندك ثم أطلب ما عنده . وقد يطلب الانسان من ربه وينسى ما له عنده من الذخائر فاذا تأخر عنه مايطلبه يسخط . فترى بعضهم يملك عقاراً وأثاثاً فاذا ضاق به القوت واجتمع عليه دين فقيل له . لو بعت عقارك . قال كيف أفرط فى عقارى وأسقط جاهى عند الناس وإنما يفعل هذه الحماقات العادات وإنما قعد أقوام عن الكسب استثقالا له فكانوا بين أمرين قبيحين . إما تضييع العيال فتركوا الفرائض أو التزين باسم انه متوكل فيحن عليهم المكتسبون فضيقوا على عيالهم لأجلهم وأعطوهم. وهذه الرذيلة لم تدخل قط إلا على دنىء النفس الرذيلة وإلا فالرجل كل الرجل من لم يضيع جوهره الذى أودعه الله إيثاراً للكسل أو لإسم يتزين به بين الجهال فان الله تعالى قد يحرم الانسان المال ويرزقه جوهراً يتسبب به إلى تحصيل الدنيا بقبول الناس عليه .

---

(١) سورة القصص آية ٢٠ .

(فصل) وقد تشبث القاعدون عن التكسب بتعللات قبيحة . منها أنهم قالوا لابد من أن يصل الينا رزقنا وهذا فى غاية القبح فان الانسان لو ترك الطاعة وقال لا أقدر بطاعتى أن أغير ما قضى الله على فان كنت من أهل الجنة فانا إلى الجنة أو من أهل النار فانا من أهل النار . قلنا له هذا يرد الأوامر كلها ولو صح لأحد ذلك لم يخرج آدم من الجنة لأنه كان يقول ما فعلت إلا ماقضى على . ومعلوم اننا مطالبون بالأمر لا بالقدر . ومنها انهم يقولون أين الحلال حتى نطلب وهذا قول جاهل لأن الحلال لا ينقطع أبداً لقوله ﷺ « الحلال بين والحرام بين » ومعلوم أن الحلال ما أذن الشرع فى تناوله وإنما قولهم هذا احتجاج للكسل . ومنها أنهم قالوا إذا كسبنا أعنا الظلمة والعصاة مثل ما أخبرنا به عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد نا عبدالعزيز بن على نا ابن جهضم نا على بن محمد السيروانى قال سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت الحلال فى كل شىء حتى طلبته فى صيد السمك فأخذت قصبة وجعلت فيها شعراً وجلست على الماء فألقيت الشص فخرجت سمكة فطرحتها على الأرض وألقيت الثانية فخرجت لى سمكة فانا أطرحها ثالثة اذا من ورائى لطمة لا أدرى من يد من هى ولا رأيت أحداً وسمعت قائلا يقول أنت لم تصب رزقاً فى شىء إلا أن تعمد الى من يذكرنا فتقتله قال فقطعت الشعر وكسرت القصبة وانصرفت. أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى ثنا أبى قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عثمان بن الأدمى قال سمعت إبراهيم الخواص يقول طلبت فقصدت الخ ما تقدم .

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذه القصة ان صحت فان فى الروايتين بعض من يتهم فان اللاطم إبليس وهو الذى هتف به لأن الله تعالى أباح الصيد فلا يعاقب على ما أباحه وكيف يقال له تعمد الى من يذكرنا فتقتله وهو الذى أباح له قتله وكسب الحلال ممدوح ولو تركنا الصيد وذبح الأنعام لأنها تذكر الله تعالى لم يكن لنا مايقيم قوى الأبدان لأنه لايقيمها الا اللحم فالتحرى من أخذ السمك وذبح الحيوان مذهب البراهمة فانظر الى الجهل ما يصنع والى إبليس كيف يفعل . أخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن على بن ثابت نا

عبد العزيز بن علي الأزجي ثنا علي بن عبدالله الهمذاني ثنا محمد بن جعفر ثنا احمد بن عبدالله بن عبد الملك قال سمعت شيخاً يكنى أبا تراب يقول قيل لفتح الموصلي أنت صياد بالشبكة ولم تصد شيئاً الا وتطعمه لعيالك فلم تصد وتبيع ذلك الناس فقال أخاف أن أصطاد مطيعاً لله تعالى في جوف الماء فأطعمه عاصياً لله على وجه الأرض.

قال المصنف رحمه الله قلت: إن صحت هذه الحكاية عن فتح الموصلي فهو من التعلل البارد المخالف للشرع والعقل لأن الله تعالى أباح الكسب وندب اليه فاذا قال قائل ربما خبزت خبزاً فأكله عاص كان حديثاً فارغا لأنه لا يجوز لنا إذاً ان نبيع الخبز لليهود والنصارى.

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك التداوي ﴾

قال المصنف رحمه الله: لا يختلف العلماء أن التداوي مباح وإنما رأى بعضهم أن العزيمة تركه. وقد ذكرنا كلام الناس في هذا وبينا بما اخترناه في كتابنا لقط المنافع في الطب. والمقصود ههنا انا نقول اذا ثبت أن التداوي مباح بالإجماع مندوب اليه عند بعض العلماء فلا يلتفت الى قول قوم قد رأوا أن التداوي خارج من التوكل لأن الإجماع على انه لا يخرج من التوكل وقد صح عن رسول الله ﷺ انه تداوى وأمر بالتداوي ولم يخرج بذلك من التوكل ولا أخرج من أمره أن يتداوى من التوكل. وفي الصحيح من حديث عثمان ابن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ رخص اذا اشتكى المحرم عينه أن يضمدها بالصبر. قال ابن جرير الطبري وفي هذا الحديث دليل على فساد ما يقوله ذوو الغباوة من أهل التصوف والعباد من أن التوكل لا يصح لأحد عالج علة به في جسده بدواء إذ ذاك عندهم طلب العافية من غير من بيده العافية والضر والنفع. وفي إطلاق النبي ﷺ للمحرم علاج عينه بالصبر لدفع المكروه أدل دليل على أن معنى التوكل غير ما قاله الذين ذكرنا قولهم. وان ذلك غير مخرج فاعله من الرضا بقضاء الله كما أن من عرض له كلب الجوع لا يخرجه فزعه إلى الغذاء من التوكل والرضا بالقضاء لأن الله تعالى

لم ينزل داء إلا أنزل له دواء إلا الموت وجعل أسبابا لدفع الادواء كما جعل الأكل سبباً لدفع الجوع . وقد كان قادرا أن يحي خلقه بغير هذا ولكنه خلقهم ذوى حاجة فلا يندفع عنهم أذى الجوع إلا بما جعل سبباً لدفعه عنهم فكذا الداء العارض والله الهادى .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية ﴾

فى ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة

قال المصنف . كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزة عن الناس اشتغالا بالعلم والتعبد إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق . وإنما هى عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين وقد لبس إبليس على جماعة من المتصوفة فنهم من أعتزل فى جبل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ففاتته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم . وعمومهم اعتزل فى الأربطة ففاتهم السعى إلى المساجد وتوطنوا على فراش الراحة وتركوا الكسب وقد قال أبو حامد الغزالى فى كتاب الأحياء مقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك إلا بخلوة فى مكان مظلم وقال فان لم يكن مكان مظلم فيلف رأسه فى جبته أو يتدثر بكساء ، أو أزار . فى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية .

قال المصنف رحمه الله قلت . أنظر إلى هذه الترتيبات والعجب كيف تصدر من فقيه عالم ومن أين له أن الذى يسمعه نداء الحق وأن الذى يشاهده جلال الربوبية وما يؤمنه أن يكون ما يجده من الوساوس والخيالات الفاسدة وهذا الظاهر ممن يستعمل التقلل فى المطعم فإنه يغلب عليه الماليخوليا . وقد يسلم الإنسان فى مثل هذه الحالة من الوساوس إلا أنه إذا تغشى بثوبه وغمض عينيه تخايل هذه الأشياء لأن فى الدماغ ثلاث قوى : قوة يكون بها التخيل وقوة يكون بها الفكرة وقوة يكون بها الذكر وموضع التخيل البطنان المقدمان من بطون الدماغ وموضع التفكر البطن الأوسط من بطون الدماغ وموضع الحفظ الموضع المؤخر فإن أطرق الإنسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية إلى غير ذلك

نعوذ بالله من هذه الوساوس والخيالات الفاسدة .

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبدالرحمن السلمي قال سمعت أبا بكر البجلي يقول سمعت أبا عثمان بن الآدمي قال كان أبو عبيد التستري إذا كان أول يوم من شهر رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته طيني باب البيت والق إلىّ كل ليلة من الكوة رغيفاً فإذا كان يوم العيد دخلت فوجدت ثلاثين رغيفا في الزاوية ولا أكل ولا شرب ولا يتهيأ لصلاة ويبقى على طهر واحد إلى آخر الشهر .

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية عندي بعيدة عن الصحة من وجهين أحدها بقاء الآدمي شهراً لا يحدث بنوم ولا بول ولا غائط ولا ريح : والثاني ترك المسلم صلاة الجمعة والجماعة وهي واجبة لا يحل تركها فإن صحت هذه الحكاية فما أبقى إبليس لهذا في التلبيس بقية . قال أنبأنا زاهر بن طاهر نا احمد بن الحسين البيهقي ثنا الحاكم أبو عبدالله النيسابوري وسمعت أبا الحسن البوشنجي الصوفي غير مرة يعاتب في ترك الجمعة والجماعة والتخلف عنها فيقول : ان كانت البركة في الجماعة فإن السلامة في العزلة .

﴿ فصل ﴾ وقد جاء النهي عن الانفراد الموجب للبعد عن العلم والجهاد للعدو . أخبرنا ابن الحصين نا أبو علي بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن احمد قال حدثني أبي ثنا أبو المغيرة ثنا معان بن رفاعة ثني علي بن زيد عن القاسم عن أبي امامة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية من سراياه قال فمر رجل بغار فيه شيء من ماء قال فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه وفيه شيء من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا ثم قال : لو أني أتيت نبي الله ﷺ فذكرت ذلك له فإن أذن لي فعلت والا لم أفعل فأتاه فقال يانبي الله اني مررت بغار فيه مايقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا . قال فقال نبي الله ﷺ « اني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة .

في التخشع ومطأطأة الرأس وإقامة الناموس

قال المصنف رحمه الله :. إذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متأدبا متذللا وقد كانوا يجتهدون في ستر مايظر منهم من ذلك . وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويبكي بالليل ولسنا نأمر العالم بالانبساط بين العوام فإن ذلك يؤذيهم . فقد روى عن علي رضي الله عنه إذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب ومثل هذا لا يسمي رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم اذا تفسح في المباح فينبغي أن يتلقاهم بالصمت والأدب وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكي ومطأطأة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد والتهيؤ للمصافحة وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا فيتهيأ للدعاء كأنه يستنزل الإجابة وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعي أنه قيل له ادع لنا فكره ذلك واشتد عليه . وقد كان في الخائفين من حمله الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه إلى السماء وليس هذا بفضيلة لأنه لاخشوع فوق خشوع رسول الله ﷺ . وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء . وفي هذا الحديث دليل على استحباب النظر إلى السماء لأجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا ﴾(1) . وقال ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(2) وفي هذا رد على المتصوفين فإن أحدهم يبقى سنين لا ينظر إلى السماء. وقد ضم هؤلاء الى ابتداعهم الرمز إلى التشبيه ولو علموا أن اطراقهم كرفعهم في باب الحياء من الله تعالى لم يفعلوا ذلك غير أن ماشغل إبليس إلا التلاعب بالجهلة . وأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخوف منهم لأنهم يعرفون جميع أمره ويحترزون من فنون مكره .

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلاني نا القاضي أبو العلاء الواسطي نا أبو نصر احمد بن محمد نا أبو الخير احمد بن محمد البزاز ثنا البخاري ثنا إسحاق ثنا محمد بن المفضل ثنا الوليد بن جميع عن

(١) سورة ق آية ٦ .
(٢) سورة يونس آية ١٠١

أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر فى مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد احد منهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون .
أخبرنا عبدالوهاب الحافظ ثنا جعفر بن احمد نا عبدالعزيز الحسن بن إسماعيل الضراب نا أبى ثنا احمد بن مروان ثنا إبراهيم الحربى ثنا محمد بن الحارث عن المدايني عن محمد بن عبدالله القرشي عن أبيه قال : نظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له . ياهذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما فى قلبه فإنما أظهر نفاقا على نفاق .

أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار نا على بن احمد الملطى ثنا احمد بن محمد بن يوسف ثنا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ثنى يعقوب بن إسماعيل قال : قال عبد الله أخبرنا المعتمر عن كهمس بن الحسين أن رجلا تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فلكزه عمر أو قال لكمه .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن احمد نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن عاصم بن كليب الجرمى : قال لقى أبى عبدا لرحمن بن الأسود وهو يمشى وكان إذا مشى يمشى جنب الحائط متخشعاً هكذا . وأمال أبو بكر عنقه شيئاً فقال أبى مالك أذا مشيت مشيت إلى جنب الحائط : أما والله ان عمر إذا مشى لشديد الوطء على الأرض جهورى الصوت .

أخبرنا محمد بن أبى طاهر نا أبو محمد الجوهرى نا ابن حياة نا أبو الحسن ابن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد يرفعه إلى سليمان بن أبى خيثمة عن أبيه قال قالت الشفا بنت عبدالله ورأت فتياناً يقصرون فى المشى ويتكلمون رويدا فقالت ماهذا قالوا نساك . قالت . كان والله عمر إذا تكلم أسمع وإذ مشى أسرع وإذا ضرب أوجع وهو الناسك حقا .

قال المصنف رحمه الله . قلت وقد كان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع . وقد ذكرنا عن أيوب السختيانى أنه كان فى ثوبه بعض الطول

ليستر حاله . وكان سفيان الثورى يقول لا أعتد بما ظهر من عملى وقال لصاحب له ورآه يصلي ما أجرأك تصلي والناس يرونك . قال حدثنا محمد بن ناصر ثنا عبد القادر بن يوسف نا ابن المذهب نا القطيعى ثنا عبدالله بن احمد ثنا أبو عبدالله يعنى السلمى ثنا بقية عن محمد بن زياد قال : مر أبو أمامة برجل ساجد فقال يا لها من سجدة لو كانت فى بيتك .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا الجوهرى ثنا محمد بن العباس ثنا محمد بن القاسم الأنبارى ثنا الحارث بن محمد ثنا يحي بن أيوب ثنا شعيب بن حرب ثنا الحسين بن عمار . قال رجل فى مجلس الحسن بن عمارة آه قال . فجعل يتبصره ويقول من هذا حتى ظننا أنه لو عرفه أمر به . أخبرنا اسماعيل بن احمد المقرى نا احمد بن احمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ نا أبو عبدالله محمد بن جعفر ثنا عبدالله بن محمد بن يعقوب ثنا أبو حاتم ثنا حرملة قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول :

ودع الذين اذا أتوك تنسكوا   واذا خلوا فهم ذئاب خفاف

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا احمد بن على بن ثابت نا أبو عمر الحسن بن عثمان الواعظ نا جعفر بن محمد الواسطى نا الحسين بن عبدالله الابزارى قال سمعت ابراهيم بن سعيد يقول . كنت واقفاً على رأس المأمون فقال لى يا ابراهيم : قلت لبيك قال عشرة من أعمال البر لا يصعد الى الله والله منها شيء . قلت ماهى يا أمير المؤمنين فقال بكاء ابراهيم على المنبر ، وخشوع عبدالرحمن بن اسحاق ، وتقشف ابن سماعة ، وصلاة خيعويه بالليل ، وصلاة عباس الضحى ، وصيام ابن السندى الاثنين والخميس ، وحديث أبى رجاء ، وقصص الحاجى ، وصدقة حفصويه وكتاب الشامى ليعلى بن قريش .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك النكاح ﴾

قال المصنف: النكاح مع خوف العنت واجب ومن غير خوف العنت سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء. ومذهب أبى حنيفة واحمد بن حنبل انه حينئذ أفضل من جميع النوافل لانه سبب فى وجود الولد قال عليه الصلاة والسلام « تناكحوا تناسلوا » وقال رسول الله ﷺ « النكاح من سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا احمد بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا سليمان بن داود الطيالسي نا إبراهيم ابن سعد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال : لقد رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له في ذلك لاختصينا . قال ابن سعد وأخبرنا ابن عفان نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك « أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي عليه السلام عن عمله في السر فأخبروهم فقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أنام الليل على فراش . وقال بعضهم أصوم ولا أفطر فحمد الله النبي عليه الصلاة والسلام وأثنى عليه ثم قال : ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني »قال ابن سعد وأخبرنا سعيد بن منصور نا أبو عوانة عن عطاء بن السايب عن سعيد بن عبيد قال قال ابن عباس رضي الله عنه: « إن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء » قال ابن سعد وأخبرنا احمد ابن عبد الله بن قيس ثنا ميذل عن أبي رجاء الجزري عن عثمان بن خالد بن محمد بن مسلم قال قال شداد بن أوس زوجوني فإن رسول الله ﷺ أوصاني أن لا ألقى الله عزباً . وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله بن احمد ثنى أبي ثنا عبدالرزاق نا محمد بن راشد عن مكحول عن رجل عن أبي ذر قال . دخل على رسول الله ﷺ رجل يقال له عكاف بن بشر التميمي الهلالي فقال له النبي ﷺ « ياعكاف هل لك من زوجة قال لا قال ولا جارية قال لا قال وأنت موسر بخير قال وأنا موسر قال أنت اذاً من إخوان الشياطين لو كنت من النصارى لكنت من رهبانهم إن سنتنا النكاح شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم أبا لشياطين تمرسوم ما للشياطين من سلاح أبلغ في الصالحين من ترك النساء » . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر نا عبد الله بن احمد بن حنبل ثنى أبي ثنى أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال : « لعن رسول الله ﷺ مخنثي الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء

المتشبهات بالرجال. والمتبتلين من الرجال. الذين يقولون لا نتزوج والمتبتلات من النساء اللاتى يقلن ذلك » . أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد القادر بن محمد قال نا أبو بكر الخياط نا أبو الفتح بن أبي الفوارس نا احمد بن جعفر الجيلى ثنا احمد بن محمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزى قال سمعت أبا عبد الله احمد بن حنبل يقول: ليس العزوبة من أمر الإسلام فى شيء النبي عليه الصلاة والسلام تزوج أربع عشرة امرأة ومات عن تسع ثم قال لو كان بشر بن الحارث تزوج كان قد تم أمره كله . لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا ولم يكن كذا وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يصبح وما عندهم شيء وكان يختار النكاح ويحث عليه وينهى عن التبتل فمن رغب عن فعل النبي عليه الصلاة والسلام فهو على غير الحق . ويعقوب عليه السلام فى حزنه قد تزوج وولد له . والنبي عليه الصلاة والسلام قال حبب إلىّ النساء : قلت فإن ابراهيم ابن آدم يحكى عنه بأنه قال لروعة صاحب عيال فما قدرت أن أتم الحديث حتى صاح بي وقال وقعنا فى بنيات الطريق أنظر عافاك الله ما كان عليه نبينا محمد ﷺ وأصحابه ثم قال : لبكاء الصبي بين يدى أبيه يطلب منه خبزاً أفضل من كذا وكذا انى يلحق المتعبد المتعزب المتزوج .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على كثير من الصوفية فمنعهم من النكاح فقدماؤهم تركوا ذلك تشاغلا بالتعبد ورأوا النكاح شاغلا عن طاعة الله عز وجل وهؤلاء وإن كانت بهم حاجة إلى النكاح أو بهم نوع تشوق اليه فقد خاطروا بأبدانهم وأديانهم وان لم يكن بهم حاجة اليه فأتتهم الفضيلة . وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « وفى بضع أحدكم صدقة قالوا يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر قالوا نعم قال وكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر » ثم قال « أفتحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير » ومنهم من قال النكاح يوجب النفقة والكسب صعب . وهذه حجة للترفه عن تعب الكسب وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار أنفقته فى الصدقة ودينار أنفقته على عيالك أفضلها الدينار الذى أنفقته على عيالك »

ومنهم من قال النكاح يوجب الميل الى الدنيا رُوينا عن أبى سليمان الداراني انه قال : اذا طلب الرجل الحديث أو سافر فى طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا .

قال المصنف رحمه الله قلت . وهذا كله مخالف للشرع وكيف لا يطلب الحديث والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم . وكيف لا يطلب المعاش وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن أموت من سعى على رجلى أطلب كفاف وجهى أحب إلىّ من أن أموت غازياً فى سبيل الله . وكيف لا يتزوج وصاحب الشرع يقول « تناكحوا تناسلوا » فما أرى هذه الأوضاع الا على خلاف الشرع . فأما جماعة من متأخرى الصوفية فانهم تركوا النكاح ليقال زاهد والعوام تعظم الصوفى اذا لم تكن له زوجة فيقولون ما عرف امرأة قط فهذه رهبانية تخالف شرعنا . قال أبو حامد ينبغى أن لا يشغل المريد نفسه بالتزويج فانه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى .

قال المصنف رحمه الله : وإنى لأعجب من كلامه أتراه ما علم أن من قصد عفاف نفسه ووجود ولد أو عفاف زوجته فانه لم يخرج عن جادة السلوك أو يرى الأنس الطبيعى بالزوجة ينافى أنس القلوب بطاعة الله تعالى والله تعالى قد منّ على الخلق بقوله (خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً[1]) . وفى الحديث الصحيح عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال له « هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك » وما كان بالذى ليدله على ما يقطع أنسه بالله تعالى . أترى رسول الله ﷺ لما كان ينبسط إلى نسائه ويسابق عائشة رضى الله عنها أكان خارجا عن الأنس بالله . هذه كلها جهالات بالعلم .

﴿ فصل ﴾ واعلم انه اذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم إلى ثلاثة أنواع : النوع الأول المرض بحبس الماء فان المرء اذا طال احتقانه تصاعد الى الدماغ منه منيه . قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازى . أعرف قوماً كانوا كثيرى المنى فلما منعوا أنفسهم من الجماع لضرب من التفلسف

---

(١) سورة الروم آية ٢١ .

بردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم الكآبة بلا سبب وعرضت لهم أعراض الماليخوليا وقلت شهواتهم وهضمهم قال . ورأيت رجلا ترك الجماع ففقد شهوة الطعام وصار ان أكل القليل لم يستمره وتقايأه فلما عاد إلى عادته من الجماع سكنت عنه هذه الأعراض سريعاً . النوع الثانى القرار إلى المتروك فان منهم خلقاً كثيراً صابروا على ترك الجماع فاجتمع الماء فأقلقوا جمعوا فلامسوا النساء ولابسوا من الدنيا أضعاف ما فروا منه فكانوا كمن أطال الجوع ثم أكل ما ترك فى زمن الصبر . النوع الثالث الانحراف الى صحبة الصبيان فان قوماً منهم أيسوا أنفسهم من النكاح فأقلقهم ما اجتمع عندهم فصاروا يرتاحون إلى صحبة المرد .

•(فصل)• وقد لبس على قوم منهم تزوجوا وقالوا انا لا ننكح شهوة فان أرادوا أن الأغلب فى طلب النكاح إرادة السنة جاز وان زعموا انه لا شهوة لهم فى نفس النكاح فمحال ظاهر .

•(فصل)• وقد حمل الجهل أقواماً فجبوا أنفسهم وزعموا انهم فعلوا ذلك حياء من الله تعالى وهذه غاية الحماقة لأن الله تعالى شرف الذكر على الأنثى بهذه الآلة وخلقها لتكون سبباً للتناسل والذى يجب نفسه يقول بلسان الحال الصواب ضد هذا ثم قطعهم الآلة لا تزيل شهوة النكاح من النفس فما حصل لهم مقصودهم .

(ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك طلب الأولاد)

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبدالله ثنا إسحاق بن احمد ثنا ابراهيم بن يوسف ثنا احمد بن أبى الحوارى قال . سمعت أبا سليمان الدارانى يقول الذى يريد الولد أحمق لا للدنيا ولا للآخرة ان أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع نغص عليه وان أراد أن يتعبد شغله.

قال المصنف رحمه الله قلت: وهذا غلط عظيم وبيانه انه لما كان مراد الله تعالى من إيجاد الدنيا إتصال دوامها الى أن ينقضى أجلها وكان الآدمى غير ممتد البقاء فيها الا الى أمد يسير أخلف الله تعالى منه مثله لحثه على سببه فى ذلك تارة من حيث الطبع بايقاد نار الشهوة وتارة من باب الشرع بقوله تعالى

(وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ) وقول الرسول ﷺ « تناكحوا تناسلوا فانى أباهى بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط » وقد طلب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأولاد . فقال تعالى حكاية عنهم (رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) (رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى) إلى غير ذلك من الآيات . وتسبب الصالحون الى وجودهم ورب جماع حدث منه ولد مثل الشافعى واحمد بن حنبل فكان خيراً من عبادة ألف سنة . وقد جاءت الأخبار باثابة المباضعة والانفاق على الأولاد والعيال ومن يموت له ولد ومن يخلف ولداً بعده فمن أعرض عن طلب الأولاد والتزوج فقد خالف المسنون والأفضل وحرم أجراً جسيما ومن فعل ذلك فانما يطلب الراحة .
أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد بن السراج نا أبو القاسم الأزجى ثنا ابن جهضم ثنا الخلدى قال سمعت الجنيد يقول : الأولاد عقوبة شهوة الحلال فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام .

قال المصنف رحمه الله : وهذا غلط فان تسمية المباح عقوبة لا يحسن لأنه لا يباح شىء ثم يكون ماتجدد منه عقوبة ولا يندب الى شىء إلا وحاصله مثوبة.

(ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الأسفار والسياحة)

قد لبس إبليس على خلق كثير منهم فأخرجهم إلى السياحة لا إلى مكان معروف ولا إلى طلب علم وأكثرهم يخرج على الوحدة ولا يستصحب زاداً ويدعى بذلك الفعل التوكل فكم تفوته من فضيلة وفريضة وهو يرى أنه فى ذلك على طاعة وأنه يقرب بذلك من الولاية وهو من العصاة المخالفين لسنة رسول الله ﷺ . وأما السياحة والخروج لا إلى مكان مقصود فقد نهى رسول الله ﷺ عن السعى فى الأرض فى غير أرب حاجة . أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبدالجبار نا إبراهيم ابن عمر البرمكى نا ابن حياة نا عبيدالله ابن عبدالرحمن السكرى قال : سمعت أبا محمد ابن قتبة يقول . ثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبى إسحاق عن سفيان عن ابن جريج عن مسلم عن طاوس أن رسول الله ﷺ قال : « لا زمام ولا خزام ولا رهبانية ولا تبتل ولا سياحة فى الإسلام » قال ابن قتيبة الزمام فى الأنف والخزام حلقة من شعر يجعل فى أحد جانبى المنخرين . وأراد ﷺ ما كان عباد بنى

(١) سورة النور آية ٣٢ .
(٢) سورة ال عمران آية ٣٨ .
(٣) سورة إبراهيم اية ٤٠ .

إسرائيل يفعلونه من خزم التراقى وزم الأنوف والتبتل ترك النكاح والسياحة مفارقة الأمصار والذهاب فى الأرض . وروى أبو داود فى سننه من حديث أبى أمامة أن رجلا قال يارسول الله إئذن لى فى السياحة فقال النبى ﷺ : « إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله » .

قال المصنف رحمه الله . وقد ذكرنا فيما تقدم من حديث ابن مظعون إنه قال يارسول الله . إن نفسى تحدثنى بأن أسيح فى الأرض . فقال النبى ﷺ له « مهلا ياعثمان فإن سياحة أمتى الغزو فى سبيل الله والحج والعمرة » . وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانىء عن احمد بن حنبل انه سئل عن الرجل يسيح يتعبد أحب اليك أو المقيم فى الأمصار قال . ما السياحة من الاسلام فى شىء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين .

﴿ فصل ﴾ وأما الخروج على الوحدة فقد نهى رسول الله ﷺ أن يسافر الرجل وحده . فأخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا احمد بن على بن ثابت نا محمد بن الطيب الصباغ نا احمد بن سليمان النجاد ثنا يحي بن جعفر بن أبى طالب ثنا على بن عاصم ثنا عبد الرحمن بن يزيد ثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال « الراكب شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة ركب » أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة قال « لعن رسول الله ﷺ راكب الفلاة وحده » .

«(فصل)» وقد يمشون بالليل أيضاً على الوحدة . وقد نهى النبى ﷺ عن ذلك . وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله بن أحمد ثنى أبى ثنا محمد بن عبيد ثنا عاصم عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبى ﷺ . لو يعلم الناس مافى الوحدة ما سار أحد وحده بليل أبداً قال عبد الله وحدثنى أبى ثنا محمد بن أبى عدى ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عطاء بن يسار عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « أقلوا الخروج إذا هدأت الرجل فإن الله تعالى يبث فى خلقه ما شاء » .

قال المصنف رحمه الله. وفيهم من جعل دأبه السفر والسفر لا يراد لنفسه قال النبي ﷺ «السفر قطعة من العذاب فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله». فمن جعل دأبه السفر فقد جمع بين تضييع العمر وتعذيب النفس وكلاهما مقصود فاسد. أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبي قال سمعت محمد بن أبي الطيب العكي يقول سمعت أبا الحسن المصري يقول سمعت أبا حمزة الخراساني يقول كنت قد بقيت محرماً في عباء أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس عليّ وتغرب كلما أحللت أحرمت.

﴿ ذكر تلبيسه عليهم في دخول الفلاة بغير زاد ﴾

قال المصنف رحمه الله: قد لبس على خلق كثير منهم فأوهمهم أن التوكل ترك الزاد وقد بينا فساد هذا فيما تقدم إلا أنه قد شاع هذا في جهلة القوم، وجاء حتى القصاص يحكون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم به فيتضمن ذلك تحريض الناس على مثل ذلك وبأفعال أولئك ومدح هؤلاء لهؤلاء فسدت الأحوال وخفيت على العوام طرق الصواب. والاخبار عنهم بذلك كثيرة وأنا أذكر منها نبذة. أنبأنا محمد بن عبدالملك نا أبو بكر نا رضوان بن محمد الدينوري ثنا طاهر بن عبد الله ثنا الفضل بن الفضل الكندي ثني أبو بكر محمد بن عبدالواحد بن جعفر الواسطي ثنا محمد بن السفاح عن علي بن سهل المصري قال أخبرني فتح الموصلي قال خرجت حاجاً فلما توسطت البادية إذا أنا بغلام صغير فقلت ياعجبا بادية بيداء وأرض قفراء، وغلام صغير فأسرعت فلحقته فسلمت عليه ثم قلت يابني إنك غلام صغير لم تجر عليك الأحكام قال ياعم قد مات من كان أصغر سناً مني فقلت وسع خطاك فإن الطريق بعيد حتى تلحق المنزل. فقال ياعم عليّ المشي وعلى الله البلاغ، أما قرأت قوله تعالى. «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا»(1). فقلت له مالي لا أرى معك لا زاداً ولا راحلة. فقال ياعم. زادي يقيني وراحلتي رجلاي. قلت: سألتك عن الخبز والماء قال ياعم أخبرني لو أن أخاً من إخوانك أو صديقا من أصدقائك دعاك إلى منزله أكنت تستحسن أن تحمل معك طعاماً فتأكله في منزله؟ فقلت أزودك فقال اليك عني يابطال هو يطعمنا ويسقينا قال فتح. فما رأيت

---

(1) سورة العنكبوت آية ٦٩.

صغيراً أشد توكلا منه ولا رأيت كبيراً أشد زهداً منه .

قال المصنف رحمه الله . بمثل هذه الحكاية تفسد الأمور ويظن أن هذا هو الصواب ويقول الكبير إذا كان الصغير قد فعل هذا فانا أحق بفعله منه . وليس العجب من الصبي بل من الذى لقيه كيف لم يعرفه إن هذا الذى يفعله منكر وان الذى استدعاك أمرك بالتزود ومن ماله يتزود ولكن مضى على هذا كبار القوم فكيف الصغار . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر احمد ابن على الحافظ نا أبو نعيم الاصفهانى قال سمعت محمد بن الحسن بن على اليعيظى يقول حضرت أبا عبد الله الجلاء وقيل له عن هؤلاء الذين يدخلون البادية بلا زاد ولا عدة يزعمون أنهم متوكلون فيموتون فى البرارى . فقال هذا فعل رجال الحق فإن ماتوا فالدية على القاتل أخبرنا ابن ناصر أنبأنا أحمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت أحمد بن على يقول . قال رجل لأبى عبدالله بن الجلاء . ما تقول فى الرجل يدخل البادية بلا زاد. قال. هذا من فعل رجال الله ، قال فإن مات قال: الدية على القاتل .

قال المصنف رحمه الله : قلت هذة فتوى جاهل بحكم الشرع إذ لاخلاف بين فقهاء الإسلام انه لا يجوز دخول الباديه بغير زاد وإن من فعل ذلك فمات بالجوع فانه عاص لله تعالى مستحق لدخول النار . وكذلك إذا تعرض بما غالبه العطب فإن الله جعل النفوس وديعة عندنا فقال : (وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ) [1] وقد تكلمنا فيما تقدم فى وجوب الاحتراز من المؤذى ولولم يكن المسافر بغير زاد إلا أنه خالف أمرالله فى قوله « وتزودوا » . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال : سمعت أبا احمد الكبير يقول سمعت أبا عبدالله بن خفيف قال خرجت من شيراز فى السفرة الثالثة فتهت فى البادية وحدى وأصابنى من الجوع والعطش ما أسقط من أسنانى ثمانية وانتثر شعرى كله .

قال المصنف رحمه الله . قلت هذا قد حكى عن نفسه ماظاهره طلب المدح على ما فعل والذم لا حق به : أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن

(١) سورة النساء آية ٢٩ .

ثابت نا عبدالكريم بن هوازن قال . سمعت اباعبدالرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله الواعظ . وأخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا أبو عبد الله بن باكويه واللفظ له ثنا أبو الفضل يوسف بن على البلخي ثنا محمد بن عبدالله أبو حمزة الصوفى . قال : انى لاستحى من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون شبعى زاداً تزودته.

قال المصنف رحمه الله . قلت وقد سبق الكلام على مثل هذا وإن هؤلاء القوم ظنوا أن التوكل ترك الأسباب . ولوكان هكذا لكان رسول الله ﷺ حين تزود لما خرج إلى الغار قد خرج من التوكل . وكذلك موسى لما طلب الخضر تزود حوتا . وأهل الكهف حين خرجوا فاستصحبوا دراهم واستخفوا ما معهم وإنما خفى على هؤلاء معنى التوكل لجهلهم وقد اعتذر لهم أبو حامد . فقال لا يجوز دخول المفازة بغير زاد إلا بشرطين أحدهما أن يكون الإنسان قد راض نفسه حيث يمكنه الصبر على الطعام اسبوعا ونحوه والثانى أن يمكنه التقوت بالحشيش ولا تخلو البادية من أن يلقاه آدمى بعد أسبوع أو ينتهى إلى حلة أو حشيش يرجى به وقته .

قال المصنف رحمه الله قلت . أقبح ما فى هذا القول انه صدر من فقيه فإنه قد لا يلق أحدا وقد يضل وقد يمرض فلا يصلح له الحشيش وقد يلق من لا يطعمه ويتعرض بمن لا يضيفه وتفوته الجماعة قطعاً وقد يموت ولا يلبه أحد. ثم قد ذكرنا ما جاء فى الوحدة ثم ما المخرج إلى هذه المحن إن كان يعتمد فيها على عادة أو لقاء شخص والاجتزاء بحشيش وأى فضيلة فى هذه الحال حتى يخاطر فيها بالنفس . وأين أمر الإنسان أن يتقوت بحشيش ومن فعل هذا من السلف وكأن هؤلاء القوم يجزمون على الله سبحانه هل يرزقهم فى البادية . ومن طلب الطعام فى البرية فقد طلب مالم تجر به العادة الا ترى ، أن قوم موسى عليه السلام لما سألوا من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها أوحى الله إلى موسى (اهْبِطُوا مِصْرًا [1]) وذلك لأن الذى طلبوه فى الأمصار فهؤلاء القوم على غاية الخطأ فى مخالفة الشرع والعقل والعمل بموافقات النفس.

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبدالجبار نا عبدالعزيز بن على الازجى

---

(١) سورة البقرة اية ٦١ .

نا إبراهيم بن محمد بن جعفر الساجى نا أبو بكر عبدالعزيز بن جعفر ثنا أبو بكر احمد بن محمد الخلال نا الحسن بن احمد الكرمانى ثنا أبو بكر ثنا شبابة ثنا ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمه عن ابن عباس . قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيحجون فيأتون إلى مكة فيسألون الناس فأنزل الله عز وجل (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ) .
أخبرنا أبو المعمر الانصارى نا يحيى بن عبدالوهاب بن منده نا أبو طاهر محمد بن احمد بن عبد الرحيم نا محمد بن حسان ثنا أبو بكر احمد بن هارون المردنجى ثنا عبد الله بن الأزهر ثنا أسباط ثنا محمد بن موسى الجرجانى قال سألت محمد بن كثير الصنعانى عن الزهاد الذين لا يتزودون ولا ينتعلون ولا يلبسون الخفاف . فقال سألتنى عن أولاد الشياطين ولم تسألنى عن الزهاد. فقلت له. فأى شيء الزهد : قال التمسك بالسنة والتشبيه بأصحاب النبى ﷺ. أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبدالجبار نا عبدالعزيز بن على الأزجى نا ابراهيم ابن محمد الساجى نا أبو بكر عبدالعزيز بن جعفر نا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال نا احمد بن الحسين بن حسان . أن أبا عبدالله احمد بن حنبل سئل عن الرجل يريد المفازة بغير زاد فأنكره إنكاراً شديدا وقال أف أف لا لا ومد بها صوته إلا بزاد ورفقاء قافلة . قال الخلال : وقال أبو بكر المروزى وجاء رجل إلى أبى عبدالله فقال رجل يريد سفراً ايما أحب اليك يحمل معه زاداً أو يتوكل . فقال له أبو عبد الله . يحمل معه زاداً ويتوكل حتى لا يتشرف للناس قال الخلال : وأخبرنى إبراهيم بن الخليل أن احمد بن نصر حدثهم أن رجلا سأل أبا عبد الله أيخرج الرجل إلى مكة متوكلا لا يحمل معه شيئاً قال لا يعجبنى فمن أين يأكل قال فيتوكل فيعطيه الناس قال فاذا لم يعطوه أليس يتشرف لهم حتى يعطوه لا يعجبنى هذا . لم يبلغنى أن أحدا من أصحاب النبى ﷺ والتابعين فعل هذا . قال الخلال . واخبرنا محمد بن على السمسار أن محمد بن موسى بن مسبس حدثهم أن أبا عبد الله سأله رجل فقال أحج بلا زاد فقال لا. اعمل واحترف وأخرج النبى ﷺ زود اصحابه (١) فقال :

(١) قوله واخرج النبى الخ هذه الجملة غير موجودة فى بعض النسخ ولعلها حشو

فهؤلاء الذين يعرفون ويحجون بلازاد هم على الخطأ .قال نعم هم على الخطأ.
قال الخلال وأخبرنى محمد بن احمد بن جامع الرازى قال سمعت الحسين الرازى قال شهدت احمد بن حنبل وجاءه رجل من أهل خراسان فقال له يا أباعبدالله معى درهم أحج بهذا الدرهم . فقال له أحمد اذهب إلى باب الكرخ فاشتر بهذا الدرهم حبا واحمل على رأسك حتى يصير عندك ثلثمائة درهم فحج .قال يا أبا عبد الله أما ترى مكاسب الناس قال احمد لا تنظر إلى هذا فإنه من رغب فى هذا يريد أن يفسد على الناس معايشهم قال يا أبا عبد الله أنا متوكل قال فتدخل البادية وحدك أو مع الناس قال لا مع الناس قال كذبت إذن لست بمتوكل فادخل وحدك والا فأنت متوكل على جراب الناس.

﴿ سياق ما جرى للصوفية فى أسفارهم وسياحاتهم ﴾
(من الأفعال المخالفة للشرع)

أخبرنا أبو منصور عبدالرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن على ابن ثابت نا محمد بن عبدالباقى نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أحمد ابن محمد بن مقسم ثنى أبو بدر الخياط الصوفى قال سمعت أبا حمزة يقول : سافرت سفرة على التوكل فبينما أنا أسير ذات ليلة والنوم فى عينى إذ وقعت فى بئر فرأيتنى قد حصلت فيها فلم أقدر على الخروج لبعد مرتقاها فجلست فيها فبينما أنا جالس إذ وقف على رأس البئر رجلان فقال أحدهما لصاحبه نجوز ونترك هذه البئر فى طريق المسلمين السابلة والمارة ، فقال الآخر : فما نصنع قال : فبدرت نفسى أن أناديهما فنوديت تتوكل علينا وتشكو بلاءنا إلى سوانا . فسكت فمضيا ثم رجعا ومعهما شىء فجعلاه على رأسها غطوها به. فقالت لى نفسى أمنت طمها ولكن حصلت فيها مسجوناً . فمكثت يومى وليلتى فلما كان الغد نادانى شىء يهتف بى ولا أراه تمسك بى شديداً فمددت يدى فوقعت على شىء خشن فتمسكت به فعلاها وطرحنى فوق الأرض فاذا هو سبع فلما رأيته لحق نفسى من ذلك ما يلحق من مثله فهتف بى هاتف وهو يقول : يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء وكفيناك ما تخاف بما تخاف . أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن أبى نصر الحميدى نا أبو بكر محمد ابن أحمد الأردستانى ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت محمد بن حسن

المخرمى سمعت ابن المالكى يقول : قال أبو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينا أنا أمشى فى الطريق وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى ان أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فما أتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال نسد رأس هذا البئر فى هذا الطريق فأتوا بقصب وبارية فهممت فقلت إلى من هو أقرب إليك منهما وسكت حتى طموا رأس البئر فإذا بشىء قد جاء فكشف عن رأس البئر ودلى رجليه وكان يقول فى همهمة له تعلق بى فتعلقت به فأخرجنى فنظرت فإذا هو سبع فهتف بى هاتف وهو يقول يا أبا حمزة أليس ذا حسن نجيناك من التلف بالتلف . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا أبو القاسم رضوان بن محمد بن الحسن الدينورى قال سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النيسابورى يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن نعيم يحكى عن أبى حمزة الصوفى الدمشقى أنه لما خرج من البئر أنشد يقول :

نهانى حيائى منك أن أكشف الهوى فأغنيتنى بالقرب منك عن الكشف
تراءيت لى بالغيب حتى كأنني تبشرنى بالغيب إنك فى الكف
أراك وبى من هيبتى لك وحشة وتؤنسنى بالعطف منك وباللطف
وتحيى محباً أنت فى الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحتف

قال المصنف رحمه الله قلت : اختلفوا فى أبى حمزة هذا الواقع فى البئر فقال أبو عبد الرحمن السلمى : هو أبو حمزة الخراسانى وكان من أقران الجنيد . وقد ذكرنا فى رواية أخرى أنه دمشقى . وقال أبو نعيم الحافظ : هو أبو حمزة البغدادى واسمه محمد بن إبراهيم وذكره الخطيب فى تاريخه وذكر له هذه الحكاية ، وأيهم كان فهو مخطىء فى فعله مخالف للشرع بسكوته معين بصمته على نفسه وقد كان يجب عليه أن يصيح ويمنع من طم البئر كما يجب عليه أن يدفع عن نفسه من يقصد قتله . وقوله لا أستغيث كقول القائل : لا آكل الطعام ولا أشرب الماء وهذا جهل من فاعله ومخالفة الحكمة فى وضع الدنيا فان الله تعالى وضع الأشياء على حكمة فوضع للآدمى يداً يدافع بها ولساناً ينطق به وعقلا يهديه إلى دفع المضار واجتلاب المصالح . وجعل الأغذية والأدوية لمصلحة الآدميين فمن أعرض عن استعمال ما خلق له

وأرشد إليه فقد رفض أمر الشرع وعطل حكمة الصانع . فإن قال جاهل فكيف احترز مع أمر القدر قلنا وكيف لا يحترز مع أمر المقدر وقد قال الله تعالى « وَخُذُوا حِذْرَكُمْ » وقد اختفى النبي ﷺ فى الغار وقال لسراقة « اخف عنا واستأجر دليلا إلى المدينة » . ولم يقل اخرج على التوكل وما زال يبدنه مع الأسباب وبقلبه مع المسبب . وقد أحكمنا هذا الأصل فيما تقدم . وقول أبى حمزة فنوديت من باطنى هذا من حديث النفس الجاهلة التى قد استقر عندها بالجهل أن التوكل ترك التمسك بالاسباب لأن الشرع لا يطلب من الإنسان ما نهاه عنه وهلا نافره باطنه فى مديده وتعليقه بذلك المتدلى اليه وتمسكه به فإن ذلك أيضاً نقض لما ادعاه من ترك الأسباب الذى يسميه التوكل لأنه أى فرق بين قوله أنا فى البئر وبين تمسكه بما تدلى عليه لا بل هذا آكد لأن الفعل آكد من القول فهلا سكت حتى يحمل بلا سبب . فإن قال : هذا بعثه الله لى . قلنا : والذى جار على البئر من بعثه واللسان المستغيث من خلقه فإنه لو استغاث كان مستعملا للاسباب التى خلقها الله تعالى لينتفع بها للدفع عنه فلم يستعمها وإنما بسكوته عطل الأسباب التى خلقها الله تعالى له ودفع الحكمه فصح لومه على ترك السبب . وأما تخليصه بالأسد فإن صح هذا فقد يتفق مثله ثم لا ينكر أن الله تعالى يلطف بعبده وإنما ينكر فعله المخالف للشرع .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر احمد بن على بن ثابت ثنا عبد العزيز ابن أبى الحسن قال سمعت على بن عبدالله بن جهضم المكى يقول . ثنا الخلدى قال : قال الجنيد قال لى محمد السمين : كنت فى طريق الكوفة بقرب الصحراء التى بين قباء والصخرة التى تفريقنا منها والطريق منقطع فرأيت على الطريق جملا قد سقط ومات وعليه سبعة أو ثمانية من السباع تتناهش لحمه يحمل بعضها على بعض فلما أن رأيتهم كأن نفسى اضطربت وكانوا على قارعة الطريق . فقالت لى نفسى تميل يمينا أو شمالا فأبيت عليها الا أن آخذ على قارعة الطريق فحملتها على أن مشيت حتى وقفت عليهم بالقرب منهم كأحدهم ثم رجعت إلى نفسى لأنظر كيف فإذا هى الروع معى قائم فأبيت أن أبرح وهذه صفتى فقعدت بينهم ثم نظرت بعد قعودى فإذا الروع معى فأبيت أن أبرح وهذه صفتى

فوضعت جنبي فنمت مضطجعاً فتغاشاني النوم فنمت وأنا على تلك الهيئة والسباع في المكان الذي كانوا عليه فمضى بي وقت وأنا نائم فاستيقظت فإذا السباع قد تفرقت ولم يبق منها شيء وإذا الذي كنت أجده قد زال فقمت وأنا على تلك الهيئة فانصرفت .

قال المصنف رحمه الله قلت . فهذا الرجل قد خالف الشرع في تعرضه للسباع ولا يحل لأحد أن يتعرض لسبع أو لحية بل يجب عليه أن يفر مما يؤذيه أو يهلكه. وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال « إذا وقع الطاعون وأنتم بأرض فلا تقدموا عليه » وقال ﷺ « فرّ من المجذوم فرارك من الأسد » ومر عليه الصلاة والسلام بحائط مائل فأسرع . وهذا الرجل قد أراد من طبعه أن لا ينزعج. وهذا شيء ما سلم منه موسى عليه السلام فإنه لما رأى الحية خاف وولى مدبراً . فإن صح ما ذكره وهو بعيد الصحة لأن طباع الآدميين تتساوى . فمن قال لا أخاف السبع بطبعي كذبناه كما لو قال أنا لا أشتهي النظر إلى المستحسن. وكأنه قهر نفسه حتى نام بينهم استسلاماً للهلاك لظنه أن هذا هو التوكل. وهذا خطأ لأنه لو كان هذا هو التوكل ما نهى عن مقاربة ما يخاف شره . ولعل السباع اشتغلت عنه وشبعت من الجمل والسبع إذا شبع لا يفترس . ولقد كان أبو تراب النخشبي من كبار القوم فلقيته السباع البرية فنهشته فمات . ثم لا ينكر أن يكون الله تعالى لطف به ونجاه بحسن ظنه فيه غير أنا نبين خطأ فعله للعامي الذي إذا سمع هذه الحكاية ظن أنها عزيمة عظيمة ويقين قوي وربما فضل حالته على حالة موسى عليه السلام إذ هرب من الحية . وعلى حالة نبينا ﷺ إذ مر بجدار مائل فهرول . وعلى لبسه ﷺ الدرع في غزواته كلها وقت الحرب حتى قال عليه الصلاة والسلام في غزوة الخندق « ليس لنبي أن يلبس لامة حربه ثم ينزعها من غير قتال » وعلى حالة أبي بكر رضي الله عنه إذ سد خروق الغار اتقاء ذي الحيات : وهيهات أن تعلو مرتبة هذا المخالف للشرع على على مرتبة النبيين والصديقين بما يخايل له ظنه الفاسد من أن هذا الفعل هو التوكل .

وقد أخبرنا عنه أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا إسماعيل بن احمد الجبري ثنا محمد بن الحسين السلمي قال سمعت محمد بن الحسين البغدادي

يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني قال سمعت مؤملا المغابي يقول . كنت أصحب محمد بن السمين فسافرت معه مابين تكريت والموصل فبينا نحن في برية نسير إذ زأر السبع من قريب منا فجزعت وتغيرت وظهر ذلك على وجهي وهممت أن أبادر فأفر فضبطني وقال يامؤمل التوكل ههنا ليس في المسجد الجامع .

قال المصنف رحمه الله : قلت لا أشك في أن التوكل يظهر أثره في المتوكل عند الشدائد . ولكن ليس من شروطه الاستسلام للسبع فإنه لا يجوز .

أخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا ابن جهضم ثنا إبراهيم بن احمد بن علي العطار قال له الخواص : حدثني بعض المشايخ أنه قيل لعلي الرازي . مالنا لا نراك مع أبي طالب الجرجاني . قال : خرجنا في سياحة فنمنا في موضع فيه سباع فلما نظر إليّ رآني لم أنم طردني وقال : لا تصحبني بعد هذا اليوم .

قال المصنف رحمه الله : لقد تعدى هذا الرجل إذ أراد من صاحبه أن يغير ماطبع عليه وليس ذلك في قدرته ولا في وسعه . ولا يطالبه بمثله الشرع وما قدر على هذه الحالة موسى عليه السلام حين هرب من الحية فهذا كله مبناه على الجهل .

أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا الأزجي ثنا بن جهضم . قال سمعت الخلدي يقول : سمعت إبراهيم الخواص يقول . سمعت حسناً أخا سنان يقول : كنت أسلك طريق مكة فتدخل في رجلي الشوكة فيمنعني ما أعتقده من التوكل أن أخرجها من رجلي فأدلك رجلي على الأرض وامشي .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن علي الحساب نا عبد الله بن علي السراج قال سمعت احمد ابن علي الوجدي يقول : حج الدينوري اثنتى عشرة حجة حافياً مكشوف الرأس وكان إذا دخل في رجله شوك يمسح رجله في الأرض ويمشي ولا يتطاطى إلى الأرض من صحة توكله .

قال المصنف رحمه الله . قلت : انظروا إلى ما يصنع الجهل بأهله وليس

من طاعة الله تعالى أن يقطع الإنسان تلك البادية حافياً لأنه يؤذى نفسه غاية الأذى . ولا مكشوف الرأس وأى قربة تحصل بهذا ولولا وجوب كشف الرأس فى مدة الإحرام لم يكن لمكشفه معنى . فمن ذا الذى أمره ألا يخرج الشوك من رجله وأى طاعة تقع بهذا ولو أن رجله انتفخت بما يبقى فيها من الشوك وهلك كان قد أعان على نفسه وهل ذلك الرجل بالأرض الا دفع بعض شر الشوك فهلا دفع الباقى بالإخراج . وأين التوكل من هذه الأفعال المخالفة للعقل والشرع لأنهما يقضيان بجلب المنافع للنفس ودفع المضار عنها. ولذلك أجاز الشرع لمن أدركه ضرر فى إحرامه أن يخرق حرمة الإحرام ويلبس ويغطى رأسه ويفدى . ولقد سمعت أبا عبيد يقول : انى لأتبين عقل الرجل بأن يدع الشمس ويمشى فى الظل .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبدالعزيز بن أبى الحسن القرميسينى قال سمعت على بن عبدالله بن جهضم قال سمعت أبا بكر الرقى يقول حدثنى أبو بكر الدقاق قال : خرجت فى وسط السنة الى مكة وأنا حدث السن فى وسطى نصف جل وعلى كتفى نصف جل فرمدت عينى فى الطريق وكنت أمسح دموعى بالجل فأقرح الجل الموضع فكان يخرج الدم مع الدموع فمن شدة الإرادة وقوة سرورى بحالى لم إفرق بين الدموع والدم وذهبت عينى فى تلك الحجة وكانت الشمس اذا أثرت فى بدنى قبلت يدى ووضعتها على عينى سرور آمنى بالبلاء . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا احمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قال سمعت أبا الفضل احمد بن أبى عمران يقول سمعت محمد بن داود الرقى يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول : كان سبب ذهاب بصرى أنى خرجت فى وسط السنة أريد مكة وفى وسطى نصف جل وعلى وسطى نصف جل فرمدت إحدى عينى فمسحت الدموع بالجل فقرح المكان وكانت الدموع والدم تسيلان من عينى . أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنا أبو محمد التميمى أنا عبدالرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الرازى يقول قلت لأبى بكر الدقاق . وكان بفرد عين ماسبب ذهاب عينك قال كنت أدخل البادية على التوكل فجعلت على نفسى أن لا آكل لأهل المنازل شيئاً تورعاً فسالت إحدى عينى على خدى من الجوع .

قال المصنف رحمه الله . اذا سمع مبتدىء حالة هذا الرجل ظن ان هذه مجاهدات وقد جمعت هذه السفرة التى افتخر فيها فنوناً من المعاصى والمخالفات منها خروجه فى تنصيف السنة على الوحدة، ومشيه بلا زاد ولا راحلة، ولباسه الجل ، ومسح عينيه به وظنه أن ذلك يقربه الى الله تعالى وإنما يتقرب الى الله تعالى بما أمر به وشرعه لا بما نهى وكف عنه ، فلو أن إنساناً قال أريد أن أضرب نفسى بعصا لأنها عصت أتقرب بذلك الى الله كان عاصياً . وسرور هذا الرجل بهذا خطأ قبيح لأنه إنما يفرح بالبلاء اذا كان بغير تسبب منه لنفسه فلو أن إنساناً كسر رجل نفسه ثم فرح بهذه المصيبة كان نهاية فى الحماقة ثم تركه السؤال وقت الاضطرار وحمله على النفس فى شدة المجاعة حتى سالت عينه ثم يسمى هذا تورعاً حماقات زهاد أكبرها الجهل والبعد عن العلم . وقد أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا محمد بن العباس بن أيوب الأصفهانى ثنا عبدالرحمن بن يوسف الرقى ثنا مطرف ابن مازن عن سفيان الثورى . قال : من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار.

قال المصنف رحمه الله . فانظر الى كلام الفقهاء ما أحسنه . ووجهه ان الله تعالى قد جعل للجائع مكنة التسبب فاذا عدم الأسباب الظاهرة فله قدرة السؤال التى هى كسب مثله فى تلك الحال فاذا تركه فقد فرط فى حق نفسه التى هى وديعة عنده فاستحق العقاب . وقد روى لنا فى ذهاب عين هذا الرجل ماهو أظرف مما ذكرنا فأخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد ثنا حمد بن احمد الحداد ثنا أبو نعيم قال سمعت أبا احمد القلانسى يقول قال أبو على الروزبارى يحكى عن أبى بكر الدقاق قال : استضفت حياً من العرب فرأيت جارية حسناء فنظرت اليها فقلعت عينى التى نظرت بها اليها . وقلت مثلك من نظر لله .

قال المصنف رحمه الله قلت : فانظروا الى جهل هذا المسكين بالشريعة والبعد عنها لأنه ان كان نظر اليها عن غير تعمد فلا إثم عليه وان تعمد فقد أتى صغيرة قد كان يكفيه منها الندم . فضم اليها كبيرة وهى قلع عينه ولم يتب عنها لأنه اعتقد قلعها قربة الى الله سبحانه ومن اعتقد المحظور قربة فقد انتهى خطؤه الى الغاية ولعله سمع تلك الحكاية عن بعض بنى اسرائيل انه نظر الى

امرأة فقلع عينه وتلك مع بعد صحتها ربما جازت فى شريعتهم . فأما شريعتنا فقد حرمت هذا ، وكأن هؤلاء القوم ابتكروا شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة نبيهم محمد ﷺ نعوذ بالله من تلبيس إبليس . وقد روى عن بعض عابدات الصوفية مثل هذا . أخبرنا أبوبكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال أخبرنى أبو الحسن على بن احمد البصرى غلام شعوانة قال أخبرتنى شعوانة انه كان فى جيرانها امرأة صالحة فخرجت ذات يوم الى السوق فرآها بعض الناس فافتتن بها وتبعها الى باب دارها . فقالت له المرأة أى شيء تريد منى قال فتنت بك فقالت : ما الذى استحسنت منى قال عيناك . فدخلت الى دارها فقلعت عينيها وخرجت الى خلف الباب ورمت بها اليه وقالت له خذهما فلا بارك الله فيك .

قال المصنف رحمه الله . فانظروا اخوانى كيف يتلاعب إبليس بالجهلة فان ذلك الرجل أتى صغيرة بالنظر وأتت هى بكبيرة ثم ظنت انها فعلت طاعة وكان ينبغى أنها لاتكلم رجلا أجنبياً . وقد وجد من القوم ضد هذا كما روى عن ذى النون المصرى وغيره انه قال لقيت امرأة فى البرية فقلت لها وقالت لى وهذا لا يحل له . وقد أنكرت عليه امرأة متيقظة . فأخبرنا عبد الملك بن عبدالله الطروحى نا محمد بن على بن عمر نا أبو الفضل محمد بن محمد العامى نا أبو سعيد محمد بن احمد بن يوسف ثنى سكر ثنى محمد بن يعقوب العرجى قال سمعت ذى النون يقول : رأيت امرأة بنحو أرض البجة فناديتها فقالت ويما للرجال أن يكلموا النساء لولا نقص عقلك لرميتك بشيء . أخبرنا عبدالرحمن بن محمد نا احمد بن على بن ثابت ثنا عبد العزيز الأزجى ثنا على ابن عبدالله الهمدانى ثنى على بن اسماعيل الطلاثى محمد بن الهيثم قال قال لى أبو جعفر الحداد . دخلت البادية بعض السنين على التوكل فبقيت سبعة عشر يوماً لا آكل فيها شيئاً وضعفت عن المشى فبقيت أياماً أخر لم أذق فيها شيئاً فسقطت على وجهى وغشى علىّ وغلب علىّ من القمل شيء ما رأيت مثله ولا سمعت به فبينا أنا كذلك اذ مر بى ركب فرأونى على تلك الحالة فنزل أحدهم عن راحلته فحلق رأسى ولحيتى وشق ثوبى وتركنى فى الرمضاء وسار

فمر بي ركب آخر فحملوني الى حيهم وأنا مغلوب فطرحوني ناحية فجاءتني امرأة فجلست على رأسي وصبت اللبن في حلقي ففتحت عيني قليلا وقلت لهم أقرب المواضع منكم أين قالوا : جبل الشراة فحملوني الى الشراة .

قال المصنف رحمه الله قلت : لو يحكى أن رجلا من المجانين أنحل من السلسلة فأخذ سكيناً وجعل يشرح لحم نفسه ويقول أنا ما رأيت مثل هذا الجنون لصدق على هذا : وإلا فانظروا الى حال هذا المسكين وبما فعل بنفسه ثم يعتقد أن هذا قربة نسأل الله العافية . أخبرنا احمد بن ناصر نا احمد بن علي بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا بكر الداري يقول سمعت أبا الحسين الريحاني يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول: رأيت شيخاً من أهل المعرفة عرج بعد سبعة عشر يوماً على سبب في البرية فنهاه شيخ كان معه فأبى أن يقبل فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب . قلت هذا قد أراد أن يصبر عن القوت أكثر من هذا وليس الصبر الى هذا الحد وان أطيق بفضيلة . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين . قال سمعت جدي اسماعيل بن نجيد يقول : دخل ابراهيم الهروي مع شبة (١) البرية . فقال يا شبة اطرح ما معك من العلائق قال فطرحتها كلها وأبقيت ديناراً فخطا خطوات ثم قال : اطرح كل ما معك لا تشغل سري قال : فأخرجت الدينار ودفعته اليه فطرحه ثم خطا خطوات وقال اطرح ما معك . قلت ليس معي شيء . قال بعدُ سري مشتغل ثم ذكرت أن معي دستجة شسوع فقلت ليس معي إلا هذه . قال فأخذها فطرحها ثم قال امشي فشينا فما احتجت الى شسع في البادية إلا وجدته مطروحا بين يدي فقال لي كذا من عامل الله بالصدق .

قال المصنف رحمه الله قلت : كل هذه الأفعال خطأ ورمى المال حرام والعجب ممن يرمي ما يملكه ويأخذ ما لا يدري من أين هو وهل يحل له أخذه أم لا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال :

---

(١) في نسخة مع سبتية

سمعت نصر بن أبي نصر العطار يقول سمعت علي بن محمد المصري قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول : دخلت البادية مرة بغير زاد فاصابتني فاقة فرأيت المرحلة من بعد فسررت بوصولي ثم فكرت في نفسي أني شكيت وأني توكلت على غيره فآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن حملت اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدي فيها إلى صدري فسمعت صوتاً في نصف الليل عالياً يا أهل المرحلة إن لله ولياً حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني إلى المرحلة .

قال المصنف رحمه الله قلت : لقد تنطع هذا الرجل على طبعه فأراد منه مالم يوضع عليه لأن طبع ابن آدم أن يهش إلى مايحب ولا لوم على العطشان إذا هش إلى الماء ولا على الجائع إذا هش إلى الطعام فكذلك كل من هش إلى محبوب له وقد كان النبي ﷺ : إذا قدم من سفر فلاحت له المدينة أسرع السير حباً للوطن . ولما خرج من مكة تلفت اليها شوقا . وكان بلال يقول لعن الله عتبة وشيبة إذا أخرجونا من مكة ويقول .

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل

فنعوذ بالله من الاقبال على العمل بغير مقتضى العلم والعقل . ثم حبسه نفسه عن صلاة الجماعة قبيح . وأي شيء في هذا من التقرب إلى الله سبحانه إنما هو محض جهل أنبأنا ابن ناصر نا جعفر بن احمد السراج نا عبد العزيز ان علي بن أحمد ثنا أبو الحسن علي بن جهضم ثنا بكر بن محمد . قال كنت عند أبي الخير النيسابوري فبسطني بمحادثته لي بذكر باديته إلى أن سألته عن سبب قطع يده . فقال يد جنت فقطعت . ثم اجتمعت به مع جماعة فسألوه عن ذلك . فقال : سافرت حتى بلغت اسكندرية فأقمت بها إثنتي عشرة سنة وكنت قد بنيت بها كوخاً فكنت أجيء اليه من ليل إلى ليل وأفطر على ما ينفضه المرابطون وإذا حم الكلاب على قمامة السفر وآكل من البردي في الشتاء فنوديت في سري يا أبا الخير تزعم انك لاتشارك الخلق في أقواتهم وتشير إلى التوكل وأنت في وسط القوم جالس فقلت : إلهي وسيدي وعزتك لا مددت يدي إلى شيء مما تنبته الارض حتى تكون الموصل إلى رزق

من حيث لا أكون فيه فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض وأتنفل ثم عجزت
عن النافلة فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض والسنة ثم عجزت عن السنة
فأقمت اثنى عشر يوما أصلى الفرض لا غير ثم عجزت عن القيام فأقمت اثنى
عشر يوماً أصلى جالساً لا غير ثم عجزت عن الجلوس فرأيت ان طرحت
نفسى ذهب فرضى فلجأت إلى الله بسرى وقلت إلهى وسيدى افترضت علىّ
فرضا تسألنى عنه وقسمت لى رزقاً وضمنته لى فتفضل علىّ برزقى ولا تؤاخذنى
بما عقدته معك فوعزتك لاجتهدن ان لاحللت عقداً عقدته معك فإذا بين
يدى قرصان بينهما شىء فكنت أجده على الدوام من الليل إلى الليل ثم طولبت
بالمسير إلى الثغر فسرت حتى دخلت الفرما فوجدت فى الجامع قاصاً يذكر
قصة زكرياء والمنشار وان الله تعالى أوحى اليه حين نشر فقال إن صعدت إلى
منك انه لأمحونك من ديوان النبوة فصبر حتى قطع شطرين . فقلت لقد كان
زكريا صباراً إلهى وسيدى لئن ابتليتنى لا صبرن وسرت حتى دخلت انطاكية
فرآنى بعض إخوانى وعلم أنى أريد الثغر فدفع إلى سيفا وترسا وحربة فدخلت
الثغر وكنت حينئذ أحتشم من الله تعالى أن أتوارى وراء السور خيفة من
العدو فجعلت مقامى فى غابة أكون فيها بالنهار وأخرج بالليل إلى شاطىء البحر
فأغرز الحربة على الساحل وأسند الترس اليها محراباً وأتقلد سيفى وأصلى إلى
الغداة فإذا صليت الصبح غدوت إلى الغابة فكنت فيها نهارى اجمع فبدوت
فى بعض الأيام فعثرت بشجرة فاستحسنت ثمرها ونسيت عقدى مع الله وقسمى به
إنى لا أمد يدى إلى شىء مما تنبت الأرض فمددت يدى فأخذت بعض الثمرة
فبينا أنا امضغها ذكرت العقد فرميت بها من فى وجلست ويدى على رأسى
فدار بى فرسان وقالوا لى قم فأخرجونى إلى الساحل فإذا أمير وحوله خيل
ورجالة وبين يديه جماعة سودان كانوا يقطعون الطريق وقد أخذهم وافترقت
الخيل فى طلب من هرب منهم فوجدونى أسود معى سيف وترس وحربة
فلما قدمت إلى الأمير قال ايش أنت قلت عبد من عبيد الله فقال للسودان
تعرفونه قالوا لا، قال : بل هو رئيسكم وإنما تفدونه بأنفسكم لأقطعن أيديكم
وأرجلكم فقدموهم ولم يزل يقدم رجلا رجلا ويقطع يده ورجله حتى انتهى
إلىّ فقال تقدم مد يدك فمددتها فقطعت ثم قال مد رجلك فمددتها ورفعت رأسى

إلى السماء وقلت إلهي وسيدي يدي جنت ورجلي ايش عملت فإذا بفارس قد وقف على الحلقة ورمى بنفسه إلى الأرض وصاح ايش تعملون تريدون أن تنطبق الخضراء على الغبراء . هذا رجل صالح يعرف بأبي الخير فرمى الأمير نفسه وأخذ يدي المقطوعة من الأرض وقبلها وتعلق بي يقبل صدري ويبكي ويقول سألتك بالله أن تجعلني في حل . فقلت قد جعلتك في حل من أول ما قطعتها هذه يد قد جنت فقطعت .

قال المصنف رحمه الله : فانظروا رحمكم الله إلى عدم العلم كيف صنع بهذا الرجل وقد كان من أهل الخير ولو كان عنده علم لعلم أن ما فعله حرام عليه وليس لإبليس عون على العباد والزهاد أكثر من الجهل. أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعيد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسي قال سمعت محمد بن داود الدينوري يقول سمعت ابن حديق يقول دخلنا المصيصة مع حاتم الأصم فعقد أنه لا يأكل فيها شيئاً الا حتى يفتح فمه ويوضع في فيه والا ما يأكل فقال لأصحابه . تفرقوا وجلس فأقام تسعة أيام لا يأكل فيها شيئاً فلما كان في اليوم العاشر جاء اليه إنسان فوضع بين يديه شيئاً يؤكل فقال كل فلم يجبه فقال له ثلاثاً فلم يجبه فقال هذا مجنون فأصلح لقمة وأشار بها إلى فمه فلم يفتح فمه ولم يتكلم فأخرج مفتاحاً كان معه فقال كل وفتح فمه بالمفتاح ودس اللقمه في فمه فأكل ثم قال له إن أحببت أن ينفعك الله به فأطعم أولئك وأشار إلى أصحابه . أنبأنا محمد بن أبي طاهر نا علي بن المحسن التنوخي عن أبيه ثني محمد بن هلال بن عبد الله ثني القاضي احمد بن سيار . قال حدثني رجل من الصوفية قال صحبت شيخاً من الصوفية أنا وجماعة في سفر فجرى حديث التوكل والأرزاق وضعف اليقين فيها وقوته فقال الشيخ وحلف علي إيماناً عظيمة لاذقت مأكولاً أو يبعث لي بجام فالوذج حار لا آكله إلا بعد أن يحلف عليَّ قال وكنا نمشي في الصحراء فقالت له الجماعة الا أنك غير جاهد ومشى ومشينا فانتهينا إلى قرية وقد مضى يوم وليلتان لم يطعم فيها شيء ففارقته الجماعة غيري فطرح نفسه في مسجد القرية مستسلماً للموت ضعفاً . فأقمت عليه فلما كان في ليلة اليوم الرابع وقد انتصف الليل وكاد الشيخ يتلف . إذا بباب المسجد قد فتح وإذا بجارية سوداء معها طبق

مغطى . فلما رأتنا قالت أنتم غرباء أو من أهل القرية فقلت غرباء فكشفت الطبق وإذا بجام فالوذج يفور لحرارته فقدمت لنا الطبق وقالت كلوا فقلت له كل فقال لا أفعل فرفعت الجارية يدها فصفعته صفعة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لأصفعنك هكذا إلى أن تأكل ، فقال كل معى فأكلنا حتى فرغ الجام وهمت الجارية بالانصراف فقلت للجارية ما خبرك وخبر هذا الجام؟ فقالت أنا جارية لرئيس هذه القرية ، وهو رجل حاد ، طلب منا منذ ساعة فالوذج فقمنا نصلحه له فطال الأمر عليه فاستعجلنا فقلنا نعم ! فعاد فاستعجل فقلنا نعم ، فحلف بالطلاق لا أكله هو ولا أحد من هو داره ولا أحد من أهل القرية ولا يأكله إلا رجل غريب ، فخرجنا نطلب فى المساجد رجلا غريباً فلم نجد إلى أن انتهينا إليكم ولو لم يأكل هذا الشيخ لقتلته ضرباً إلى أن يأكل لئلا تطلق سيدتى من زوجها ، قال : فقال الشيخ : كيف تراه إذا أراد أن يرزق.

قال المصنف رحمه الله : ربما سمع هذا جاهل فاعتقده كرامة وما فعله الرجل من أقبح القبيح فانه يجرب على الله ويتألى عليه ويحمل على نفسه من الجوع ما لا يجوز له وهذا لا يجوز له ولا ينكر أن يكون لطف به إلا أنه فعل ضد الصواب وربما كان إنفاذ ذلك رديئاً لأنه يعتقد أنه قد أكرم وإن ذلك منزلة . وكذلك حكاية حاتم التى قبلها فانها إن صحت دلت على جهل بالعلم وفعل لما لا يجوز لأنه ظن أن التوكل إنما هو ترك التسبب فلو عمل بمقتضى واقعته لم يمضغ الطعام ولم يبلعه فانه تسبب وهل هذا إلا من تلاعب إبليس بالجهال لقلة علمهم بالشرع ثم أى قربة فى هذا الفعل البارد وما أظن غالبه إلا من الماليخوليا . أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد ابن على ابن المحسن قال حدثنى أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبرى قال : قال لى جعفر الخلدى : وقفت بعرفة ستاً وخمسين وقفة منها إحدى وعشرون على المذهب . فقلت لأبى إسحق : وأى شىء أراد بقوله — على المذهب — فقال يصعد إلى قنطرة الناشرية فينفض كيه حتى يعلم أنه ليس معه زاد ولا ماء ويلبى ويسير.

قال المصنف رحمه الله : وهذا مخالف للشرع فان الله تعالى يقول : «وتزودوا» ورسول الله ﷺ قد تزود ، ولا يمكن أن يقال إن هذا الآدمى لا يحتاج إلى شىء فى مدة أشهر فان احتاج ولم يتزود فعطب اثم وإن سأل

الناس أو تعرض لهم لم يف ذلك بدعوى التوكل وإن ادعى أنه يكرم ويرزق بلا سبب فنظره إلى أنه مستحق لذلك محنة ولو تبع أمر الشرع وحمل الزاد كان أصلح له على كل حال . وأنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال: أخبرني أبي عن بعض الصوفية ، أنه قدم عليه من مكة جماعة من المتصوفة فقال لهم من صحبتم فقالوا حاج اليمن فقال أوه التصوف قد صار إلى هذا أو التوكل قد ذهب . انتم ما جئتم على الطريقة والتصوف وإنما جئتم من مائدة اليمن إلى مائدة الحرم ، ثم قال : وحق الأحباب والفتيان لقد كنا أربعة نفر مصطحبين فى هذا الطريق نخرج إلى زيارة قبر النبي ﷺ على التجريد وتعاهد بيننا أن لا نلتفت إلى مخلوق ولا نستند إلى معلوم ، فجئنا إلى النبي ﷺ ومكثنا ثلاثة ايام لم يفتح لنا بشيء فخرجنا حتى بلغنا الجحفة ونزلنا وبحذائنا نفر من الأعراب فبعثوا إلينا بسويق فأخذ بعضنا ينظر إلى بعض ويقول: لو كنا من اهل هذا الشأن لم يفتح لنا بشيء حتى ندخل الحرم فشربناه على الماء وكان طعامنا حتى دخلنا مكة .

قلت : إسمعوا إخوانى إلى توكل هؤلاء كيف منعهم من التزود المأمور به فأحوجهم إلى أخذ صدقات الناس . ثم ظنهم أن ما فعلوه مرتبة جهل بمعرفة المراتب . ومن عجب ما بلغنى عنهم فى اسفارهم ما أخبرنا به محمد بن ابى القاسم البغدادى نا أبو محمد التيمى عن أبى عبد الرحمن السلمى قال : بلغنى أن أبا شعيب المقفع وكان قد حج سبعين حجة راجلا أحرم فى كل حجة بعمرة وحجة من عند صخرة بيت المقدس ودخل بادية تبوك على التوكل فلما كان فى حجته الأخيرة رأى كلباً فى البادية يلهث عطشاً ، فقال : من يشترى حجة بشربة ماء ، قال : فدفع إليه إنسان شربة ماء فسقى الكلب ثم قال هذا خير لى من حجى لأن النبي ﷺ قال : « فى كل ذات كبد حراء اجر » . اخبرنا عبد الأول بن عيسى نا ابن أبى الكوفانى ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن مورى الحبوسانى نا ابو نصر عبد الله بن على الطوسى المعروف بابن السراج قال : سمعت الوجهى يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول : كان فى البادية جماعة ومعنا أبو الحسين العطوفى فربما كانت تلحقنا القافلة ويظلم علينا الطريق وكان أبو الحسين يصعد تلا فيصيح صياح الذئب حتى تسمع كلاب الحي،

فينبحون فيمر على بيوتهم ويحمل إلينا من عندهم معونة ، قلت : وإنما ذكرت مثل هذه الأشياء ليتنزه العاقل فى مبلغ علم هؤلاء وفهمهم للتوكل وغيره ويرى مخالفتهم لأوامر الشرع وليت شعرى كيف يصنع من يخرج منهم ولا شيء معه بالوضوء والصلاة وإن تخرق ثوبه ولا إبرة معه فكيف يفعل . وقد كان بعض مشايخهم يأمر المسافر بأخذ العدة قبل السفر.فأخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى قال : سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سمعت الفرغانى يقول : كان إبراهيم الخواص مجرداً فى التوكل يدقق فيه وكان لا تفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض فقيل له ياأبا إسحاق لم تجمع هذا وأنت تمنع من كل شيء ، فقال : مثل هذا لاينقض التوكل لأن لله تعالى علينا فرائض والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد فربما يتخرق ثوبه وان لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلواته وإن لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته وإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا أبرة ولا خيوط فاتهمه فى صلاته .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية إذا قدموا من السفر ﴾

قال المصنف رحمه قلت : من مذهب القوم أن المسافر إذا قدم فدخل الرباط وفيه جماعة لم يسلم عليهم حتى يدخل الميضة فإذا توضأ جاء وصلى ركعتين ثم سلم على الشيخ ثم سلم على الجماعة وهذا ماابتدعه متأخرهم على خلاف الشريعة لأن فقهاء الإسلام أجمعوا على أن من دخل على قوم سن له أن يسلم عليهم سواء كان على طهارة أو لم يكن إلا أن يكونوا أخذوا هذا من مذهب الأطفال فإنه إذا قيل للطفل لم لا تسلم علينا قال ما غسلت وجهى بعد أو لعل الأطفال علموه من هؤلاء المبتدعين . أخبرنا ابن الحصين نا ابو على بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن احمد ثنى أبى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ليسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير » أخرجاه فى الصحيحين ومن مذهب القوم تغميز القادم من السفر مساء . أنبأنا ابو زرعة طاهر بن محمد عن أبيه . قال باب السنة فى تغميزهم القادم من السفر أول ليلة

لتعبه واحتج بحديث عمر رضي الله عنه دخلت على النبي ﷺ وغلام له حبشي يغمز ظهره فقلت ما شأنك يا رسول الله قال إن الناقة قد اقتحمتني .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إخواني إلى فقه هذا المحتج فانه كان ينبغي أن يقول باب السنة في تغميز من رمت به ناقته ، وتكون السنة تغميز الظهر لا القدم ومن أين له انه كان في سفر وانه غمز أول ليلة ثم يجعل تغميز النبي ﷺ كما اتفق لأجل ألم ظهره سنة لقد كان ترك استخراج هذا الفقه الدقيق أحسن من ذكره ، ومن مذهبهم عمل دعوة للقادم . قال ابن طاهر : باب اتخاذهم العتيرة (١) للقادم واحتج بحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ سافر سفراً فنذرت جارية من قريش إن الله تعالى رده أن تضرب في بيت عائشة رضي الله عنها بدف فلما رجع فقال النبي ﷺ إن كنت نذرت فاضربي .

قال المصنف رحمه الله : قد بينا أن الدف مباح ولما نذرت هذه المرأة مباحاً أمرها أن تفي فكيف يحتج بهذا على الغناء والرقص عند قدوم المسافر .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية اذا مات لهم ميت ﴾

له في ذلك تلبيسان الأول . أنهم يقولون لا يبكى على هالك ومن بكى على هالك خرج عن طريق أهل المعارف قال ابن عقيل . وهذه دعوى تزيد على الشرع فهي حديث خرافة وتخرج عن العادت والطباع فهي انحراف عن المزاج المعتدل فينبغي أن يطالب لها بالعلاج بالأدوية المعدلة للمزاج فان الله تعالى أخبر عن نبي كريم فقال : ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ (٢) وقال : ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ (٣) . وبكى رسول الله ﷺ عند موت ولده وقال « إن العين لتدمع » ، وقال « واكرباه » ، وقالت فاطمة رضي الله عنها واكرب أبتاه فلم ينكر وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه متمماً يندب أخاه ويقول :

وكنا كندماني جزيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فقال عمر رضي الله عنه ليتني كنت أقول الشعر فأندب أخي زيداً فقال متمم لو مات أخي كما مات أخوك مارثيته ، وكان مالك مات على الكفر وزيد

---

(١) العتيرة بوزن الذبيحة شاة وكانت الجاهلية تذبح للاصنام فيصب دمها على رأسها نهى الشرع عن ذلك ففيه تشبيه بالمشركين أيضا

(٢) سورة يوسف آية ٨٤ .

(٣) سورة يوسف اية ٨٤ .

قتل شهيداً فقال عمر: ما عزاني أحد في أخي كمثل تعزيتك، ثم لاتزال الإبل الغليظة الأكباد تحن الى مآلفها من الأعطان والأشخاص وترغوا للفصلان وحمام الطير ترجع. وكل مأخوذ من البلاء فلا بد أن يتضرع ومن لم تحركه المسار والمطربات وتزعجه المخزيات فهو الى الجماد به أقرب. وقد أبان النبي عليه الصلاة والسلام عن العيب في الخروج عن سمت الطبع فقال للذى قال: لم أقبل أحداً من ولدى - وكان له عشرة من الولد - فقال «أو أملك لك ان نزع الله الرحمة من قلبك»، وجعل يلتفت الى مكة لما خرج فالمطالب لما يخرج عن الشرائع وينبو عن الطباع جاهل يطالب بجهل. وقد قنع الشرع منا أن لانلطم خداً ولانشق جيباً فاما دمعة سائلة وقلب حزين فلا عيب في ذلك.

التلبيس الثاني: انهم يعملون عند موت الميت دعوة ويسمونها عرسا ويغنون فيها ويرقصون ويلعبون ويقولون نفرح للميت إذ وصل الى ربه. والتلبيس في هذا عليهم من ثلاثة أوجه أحدها ان المسنون أن يتخذ لأهل الميت طعام لاشتغالهم بالمصيبة عن اعداد الطعام لأنفسهم وليس من السنة أن يتخذه أهل الميت ويطعمونه الى غيرهم والأصل في اتخاذ الطعام لأجل الميت. ما أخبرنا به أبو الفتح الكروخي نا أبو عامر الأزدى وأبو بكر العورجى قال أخبرنا الجراحي ثنا المحبوبي ثنا الترمذى ثنا احمد بن منيع وعلى بن حجر قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد عن أبيه عن عبدالله بن جعفر قال: لما جاء نعي جعفر فقال النبي ﷺ «اصنعوا لآل جعفر طعاما فانه قد جاءهم ما يشغلهم» قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح. والثاني انهم يفرحون للميت ويقولون وصل الى ربه ولا وجه للفرح لأنا لا نتيقن انه غفر له ومايؤمنا أن نفرح له وهو في المعذبين. وقد قال عمر بن زر لما مات ابنه لقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك. أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن عين ثنا الفربرى ثنا البخارى ثنا أبو اليمان نا شعيب عن الزهرى ثنى خارجة بن زيد الانصارى عن أم العلاء قالت: لما مات عثمان بن مظعون دخل علينا رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السايب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال النبي ﷺ: «ومايدريك ان الله أكرمه». والثالث انهم يرقصون ويلعبون

فى تلك الدعوة فيخرجون بهذا عن الطباع السليمة التى يؤثر عندها الفراق . ثم ان كان ميتهم قد غفر له فما الرقص واللعب بشكرهم وان كان معذباً فأين أثر الحزن .

﴿ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك التشاغل بالعلم﴾

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صدهم عن العلم لأن العلم نور فاذا أطفأ مصابيحهم خبطهم فى الظلم كيف شاء . وقد دخل على الصوفية فى هذا الفن من أبواب . أحدها انه منع جمهورهم من العلم أصلا وأراهم انه يحتاج الى تعب وكلف فحسن عندهم الراحة فلبسوا المراقع وجلسوا على بساط البطالة . أخبرنا اسماعيل بن احمد السمرقندى نا حمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الأصفهانى ثنا أبو حامد بن حيان ثنا أبو الحسن البغدادى ثنا ابن صاعد قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول : أسس التصوف على الكسل . وبيان ما قاله الشافعى ان مقصود النفس اما الولايات وأما استجلاب الدنيا بالعلوم يطول ويتعب البدن وهل يحصل المقصود أو لا يحصل . والصوفية قد تعجلوا الولايات فانهم يرون بعين الزهد . واستجلاب الدنيا فانها اليهم سريعة .

أخبرنا عبد الحق نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو الفرج الطناجيرى ثنا أبو حفص بن شاهين قال . ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى ان الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا ان علومنا بلا واسطة وانما رأوا بعد الطريق فى طلب العلم فقصروا الثياب ورقعوا الجباب وحملوا الركاء وأظهروا الزهد .

والثانى انه قنع قوم منهم باليسير منه ففاتهم الفضل الكثير فى كثرته فاقتنعوا بأطراف الأحاديث وأوهمهم أن علو الاسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا وان للنفس فى ذلك لذة . وكشف هذا التلبيس انه ما من مقام عال الا وله فضيلة وفيه مخاطرة فان الامارة والقضاء والفتوى كله مخاطرة وللنفس فيه لذة ولكن فضيلة عظيمة كالشوك فى جوار الورد فينبغى أن تطلب الفضائل ويتقى ما فى ضمنها من الآفات . فأما ما فى الطبع من حب الرياسة فانه إنما وضع لتجتلب هذه الفضيلة كما وضع حب النكاح ليحصل الولد وبالعلم يتقوم قصد العالم كما قال يزيد بن هرون . طلبنا العلم لغير الله فأبى الا أن يكون لله . ومعناه انه دلنا على الاخلاص ومن طالب نفسه بقطع ما فى طبعه لم يمكنه . والثالث انه أوهم قوماً منهم ان المقصود العمل وما

فهموا أن التشاغل بالعلم من أوفى الأعمال ثم ان العالم وان قصر سير عمله فانه على الجادة والعابد بغير علم على غير الطريق . والرابع انه أرى خلقاً كثيراً منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن حتى ان أحدهم يتخايل له وسوسة فيقول حدثني قلبي عن ربي . وكان الشبلي يقول :

اذا طالبوني بعلم الورق   برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر وسموا هواجس النفوس العلم الباطن واحتجوا له بما أخبرنا به عبدالحق بن عبدالخالق نا الحسين بن على الطناجيرى نا أبو حفص بن شاهين ثنا على بن محمد بن جعفر بن احمد بن عنبسة العسكرى ثنى دارم بن قبيصة بن نهشل الصنعانى قال سمعت يحيى بن الحسين بن زيد بن على قال سمعت يحيى بن عبدالله بن حسين عن يحيى بن زيد بن على عن أبيه عن جده عن الحسن بن على عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى ﷺ انه قال « علم الباطن سر من سر الله عز وجل وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عز وجل فى قلوب من يشاء من أوليائه » .

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا حديث لا أصل له عن النبى ﷺ . وفى إسناده مجاهيل لا يعرفون . أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل محمد بن على السهلكى نا أبو على عبدالله بن ابراهيم النيسابورى ثنا أبو الحسن على ابن عبدالله بن جهضم ثنا أبو الفتح احمد بن الحسن ثنا على بن جعفر عن أبى موسى قال : كان فى ناحية أبى يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية فقصد أبا يزيد وقال له قد حكى لى عنك عجايب . فقال أبو يزيد . وما لم تسمع من عجايبى أكثر . فقال له علمك هذا يا أبا يزيد عن من ومن أين ومن من . فقال أبو يزيد علمى من عطاء الله تعالى . ومن حيث قال ﷺ « من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم » ومن حيث قال ﷺ « العلم علمان علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على خلقه وعلم باطن وهو العلم النافع » وعلمك يا شيخ نقل من لسان عن لسان التعليم وعلمى من الله إلهام من عنده . فقال له الشيخ علمى عن الثقات عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن ربه عز وجل . فقال

له أبو يزيد . ياشيخ كان للنبي ﷺ علم عن الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل قال نعم: ولكن أريد أن يصح لي علمك الذي تقول هو من عند الله ، قال: نعم أبينه لك قدر ما يستقر في قلبك معرفته . ثم قال : ياشيخ علمت أن الله تعالى كلم موسى تكليما وكلم محمداً ﷺ ورآه كفاحاً . وان حلم الأنبياء وحي. قال نعم قال أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء بالهام منه وفوائده من من قلوبهم حتى أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة : وعما يؤكد ما قلت ما ألهم الله تعالى أم موسى أن تلقي موسى في التابوت فألقته وألهم الخضر في السفينة والغلام والحائط قوله موسى (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي)(١) وكما قال أبو بكر لعائشة رضي الله عنهما : إن ابنة خارجة حاملة بينت : وألهم عمر رضي الله عنه فنادى ياسارية الجبل. أنبأنا ابن ناصر أنبأنا أبو الفضل السهلكي قال سمعت أبا عبدالله الشيرازي يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت إبراهيم سبتية يقول حضرت مجلس أبي يزيد والناس يقولون فلان لقي فلاناً وأخذ من علمه وكتب منه الكثير وفلان لقي فلاناً . فقال أبو يزيد . مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت .

قال المصنف رحمه الله : هذا الفقه في الحكاية الأولى من قلة العلم إذ لو كان عالما لعلم أن الالهام للشيء لا ينافي العلم ولا يتسع به عنه ولا ينكر ان الله عز وجل يلهم الإنسان الشيء كما قال النبي ﷺ «إن في الأمم محدثين وان يكن في أمتي فعمر » والمراد بالتحديث إلهام الخير إلا أن الملهم لو ألهم مايخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه : وأما الخضر فقد قيل انه نبي ولا ينكر للانبياء الإطلاع بالوحي على العواقب وليس الإلهام من العلم في شيء إنما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشد : فأما أن يترك العلم ويقول أنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشيء إذ لولا العلم النقلي ما عرفنا ما يقع في النفس أمن الالهام للخير أو الوسوسة من الشيطان .واعلم أن العلم الإلهامي الملقي في القلوب لا يكفي عن العلم المنقول كما أن العلوم العقلية لا تكفي عن العلوم الشرعية فإن العقلية كالأغذيه والشرعية كالأدوية ولا ينوب هذا عن هذا .وأما قوله أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . أصلح ماينسب

(١) سورة الكهف آية ٨٥ .

اليه هذا القائل أنه مايدرى ما فى ضمن هذا القول والا فهذا طعن على الشريعة. أنبانا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو حفص بن شاهين ، قال : من الصوفية من رأى الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا نحن علومنا بلا واسطة . قال وما كان المتقدمون فى التصوف إلا رؤساً فى القرآن والفقه والحديث والتفسير ولكن هؤلاء أحبوا البطالة. وقال أبو حامد الطوسى اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الالهية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون. بل قالوا : الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة وذلك بأن يقطع الانسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو نفسه فى زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل فى نفسه ولا يكتب حديثاً ولا غيره ولا يزال يقول الله الله الله إلى أن ينتهى إلى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحى عن القلب صورة اللفظ .

قال المصنف رحمه الله قلت : عزيز علىّ أن يصدر هذا الكلام من فقيه فإنه لا يخفى قبحه فإنه على الحقيقة طى لبساط الشريعة التى حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم . وعلى هذا المذهب فقد رأيت الفضلاء من علماء الأمصار فإنهم ما سلكوا هذه الطريق وإنما تشاغلوا بالعلم أولا . وعلى ما قد رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولا يكون عندها من العلم ما يطرد ذلك فيلعب بها إبليس أى ملعب فيريها الوسوسة محادثة .ومناجاة ولا ننكر أنه إذا طهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى فينظر بنور الله إلا أنه ينبغى أن يكون تطهيره بمقتضى العلم لا بما ينافيه فإن الجوع الشديد والسهر وتضييع الزمان فى التخيلات أمور ينهى الشرع عنها فلا يستفاد من صاحب الشرع شيء ينسب [1] الى ما نهى عنه كما لا تستباح الرخص فى سفر قد نهى عنه . ثم لا تنافى بين العلم والرياضة بل العلم يعلم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها . وإنما تلاعب الشيطان بأقوام أبعدوا العلم وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم والعلم بعيد عنهم فتارة يفعلون الفعل المنهى عنه. وتارة يؤثرون ما غيره أولى

(١) فى النسخة الثانية بسبب قد نهى عنه الخ .

منه وإنما كان يفتى فى هذه الحوادث العلم وقد عزلوه فنعوذ بالله من الخذلان.
أنبأنا ابن ناصر عن أبي على بن البنا قال: كان عندنا بسوق السلاح رجل كان يقول القرآن حجاب ، والرسول حجاب ليس الا عبد ورب فافتتن جماعة به فأهملوا العبادات واختفى مخافة القتل. أنبأنا محمد بن عبدالملك نا احمد ابن على بن ثابت نا أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد الجبائى ثنا احمد بن سليمان النجاد ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا هشام بن يونس ثنا المحاربي عن بكر بن حنش عن ضرار بن عمرو قال إن قوماً تركوا العلم ومجالسة أهل العلم واتخذوا محاريب فصلوا وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظمه وخالفوا السنة فهلكوا فوالله الذى لا إله غيره ما عمل عامل قط على جهل إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

﴿ فصل ﴾ وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة . وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق . فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة. وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم فى إعراضهم عن ظواهر الشرع . وعن أبى الحسن غلام شعوانه بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم يقول جاء رجل إلى سهل بن عبدالله وبيده محبرة وكتاب فقال لسهل جئت أن أكتب شيئاً ينفعنى الله به . فقال اكتب ، ان استطعت أن تلقى الله وبيدك المحبرة والكتاب فافعل : قال يا أبا محمد أفدنى فائدة . فقال : الدنيا كلها جهل إلا ما كان علماً ، والعلم كله حجة إلا ما كان عملا ، والعمل كله موقوف إلا ما كان منه على الكتاب والسنة. وتقوم السنة على التقوى وعن سهل بن عبد الله أنه قال احفظوا السواد على البياض فما أحد ترك الظاهر الا تزندق وعن سهل بن عبدالله انه قال ما من طريق إلى الله أفضل من العلم فإن عدلت عن طريق العلم خطوة تهت فى الظلام أربعين صباحاً . وعن أبى بكر الدقاق قال . سمعت أباسعيد الخراز يقول . كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل . وعن أبى بكر الدقاق انه قال . كنت ماراً فى تيه بنى إسرائيل فخطر ببالى أن علم الحقيقة مباين للشريعة فهتف بى هاتف من تحت شجرة كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهى كفر .

قال المصنف رحمه الله . وقد نبه الإمام أبو حامد الغزالى فى كتاب الأحياء

فقال . من قال ان الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الايمان . وقال ابن عقيل جعلت الصوفية الشريعة إسما وقالوا المراد منها الحقيقة قال وهذا قبيح لأن التريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم فما الحقيقة بعد هـذا سوى شيء واقع فى النفس من القاء الشياطين وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع .

﴿ ذكر تلبيس ابليس على جماعة من القوم فى دفنهم كتب العلم وإلقائها فى الماء ﴾

قال المصنف رحمه الله . قد كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم ثم لبس عليهم إبليس وقال ماالمقصود إلا العمل ودفنوا كتبهم . فقد روى أن احمد ابن أبي الحوارى رمى كتبه فى البحر ، وقال : نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعدالوصول محال . ولقد طلب احمد بن أبي الحوارى الحديث ثلاثين سنة فلما بلغ منه الغاية حمل كتبه إلى البحر فغرقها . وقال : ياعلم لم أفعل بك هذا تهاوناً ولا استخفافاً بحقك ولكنى كنت أطلبك لأهتدى بك إلى ربى فلما اهتديت بك استغنيت عنك . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا الحسن غلام شعوانة بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال احمد ابن محمد بن إسماعيل . أبو الحسين بن الخلال كان حسن الفهم له صبر على الحديث وانه كان يتصوف ويرمى بالحديث مدة ثم يرجع ويكتب . ولقد أخبرت انه رمى بجملة من سماعاته القديمة فى دجلة . فأول ما سمع على أبي العباس الأصم وطبقته وكتب الكثير . أنبأنا زاهر بن طاهر نا احمد بن الحسين البيهقى قال . سمعت أباعمرو بن أبي جعفر يقول سمعت أبا طاهر الجنابذى يقول . لقد كان موسى بن هرون يقرأ علينا فإذا فرغ من الجزء رمى بأصله فى دجلة ويقول قد أديته .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن على بن خلف نا أبو عبدالرحمن السلمى قال سمعت أبا نصر الطوسى يقول . سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون ـ ورث أبو عبدالله المقرى عن أبيه خمسين الف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن جميع ذلك وأنفقها على الفقراء قال :فسألت أبا عبدالله عن ذلك

فقال . أحرمت وأنا غلام حدث وخرجت إلى مكة على الوحدة حين لم يبق لى شىء أرجع اليه . وكان اجتهادى أن أزهد فى الكتب وماجمعت من العلم والحديث أشد علىّ من الخروج إلى مكة والتقطع فى الأسفار والخروج عن ملكى . أخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن على بن ثابت نا إسماعيل الحيرى ثنا محمد ابن الحسين السلمى قال سمعت أبا العباس بن الحسين البغدادى يقول سمعت الشبلى يقول . أعرف من لم يدخل فى هـذا الشأن حتى أنفق جميع ملكه وغرق فى هذه الدجلة سبعين قمطرا مكتوباً بخطه وحفظ وقرأ بكذا وكذا رواية يعنى بذلك نفسه .

قال المصنف رحمه الله . قد سبق القول بأن العلم نور وان إبليس يحسن للانسان إطفاء النور ليتمكن منه فى الظلمة ولا ظلمة كظلمة الجهل . ولما خاف إبليس أن يعاود هؤلاء مطالعة الكتب فربما استدلوا بذلك على مكايده حسن لهم دفن الكتب وإتلافها وهذا فعل قبيح محظور وجهل بالمقصود بالكتب وبيان هذا أن أصل العلوم القرآن والسنة فلما علم الشرع أن حفظهما يصعب أمر بكتابة المصحف وكتابة الحديث فأما القرآن فان رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية دعى بالكاتب فأثبتها وكانوا يكتبونها فى العسب والحجارة وعظام الكتف ثم جمع القرآن بعده فى المصحف أبو بكر صوناً عليه ثم نسخ من ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه وبقية الصحابة وكل ذلك لحفظ القرآن لئلا يشذ منه شىء . وأما السنة . فإن النبى ﷺ قصر الناس فى بداية الإسلام على القرآن وقال لا تكتبوا عنى سوى القرآن فلما كثرت الأحاديث ورأى قلة ضبطهم أذن لهم فى الكتابة . فروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه شكى إلى رسول الله ﷺ قلة الحفظ فقال . ابسط رداءك فبسط رداءه وحدثه النبى عليه الصلاة والسلام وقال ضمه اليك . فقال أبو هريرة فلم أنس بعد ذلك شيئاً مما حدثنيه رسول الله ﷺ . وفى رواية أنه قال استعن على حفظك بيمينك يعنى بالكتابة . وروى عنه ﷺ عبدالله بن عمرو انه قال « قيدوا العلم فقلت يارسول الله وما تقييده . قال الكتابة » . وروى عنه أيضاً رافع بن خديج قال قلنا يارسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها : قال . اكتبوا ولا حرج .

قال المصنف رحمه الله : واعلم أن الصحابة ضبطت ألفاظ رسول الله ﷺ وحركاته وأفعاله واجتمعت الشريعة من رواية هذا ورواية هذا . وقد قال رسول الله ﷺ بلغوا عنى : وقال نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها وتأدية الحديث كما يسمع لايكاد يحصل إلا من الكتابة لأن الحفظ خوان . وقد كان احمد بن حنبل رضى الله عنه يحدث بالحديث فيقال له: إمله علينا . فيقول لا بل من الكتاب . وقد قال على بن المدينى . أمرنى سيدى احمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من الكتاب فاذا كانت الصحابة قد روت السنة وتلقتها التابعون وسافر المحدثون وقطعوا شرق الأرض وغربها لتحصيل كلمة من ههنا وكلمة من هنا وصححوا ماصح وزيفوا مالم يصح وجرحوا الرواة وعدلوا وهذبوا السنن وصنفوا ثم من يغسل ذلك فيضيع التعب ولا يعرف حكم الله فى حادثة فما عوندت الشريعة بمثل هذا . فهل لشريعة من الشرائع قبلنا إسناد الى نبيهم وإنما هذه خصيصة لهذه الأمة . وقد روينا عن الإمام احمد بن حنبل مع كونه طاف الشرق والغرب فى طلب الحديث انه قال لابنه ما كتبت عن فلان؟ فذكر له أن النبى عليه الصلاة والسلام « كان يخرج يوم العيد من طريق ويرجع من أخرى » فقال الامام احمد بن حنبل إنا لله سنة من سنن رسول الله ﷺ لم تبلغنى وهذا قوله مع اكثاره وجمعه فكيف بمن لم يكتب واذا كتب غسل أفترى اذا غسلت الكتب ودفنت على م يعتمد فى الفتاوى والحوادث على فلان الزاهد أو فلان الصوفى أو على الخواطر فيما يقع لها نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : ولا تخلو هذه الكتب التى دفنوها أن يكون فيها حق أو باطل أو قد اختلط الحق بالباطل . فان كان فيها باطل فلا لوم على من دفنها وان كان قد اختلط الحق بالباطل ولم يمكن تمييزه كان عذراً فى إتلافها فان أقواماً كتبوا عن ثقات وعن كذابين واختلط الأمر عليهم فدفنوا كتبهم . وعلى هذا يحمل مايروى عن دفن الكتب عن سفيان الثورى وان كان فيها الحق والشرع فلا يحل إتلافها بوجه لكونها ضابطة العلم وأموالا وليسأل من يقصد إتلافها عن مقصوده فان قال تشغلنى عن العبادة . قيل له

جوابك من ثلاثة أوجه : أحدها انك لو فهمت لعلمت أن التشاغل بالعلم أوفى العبادات . والثانى أن اليقظة التى وقعت لك لا تدوم فكأنى بك وقد ندمت على ما فعلت بعد الفوات . واعلم أن القلوب لا تبقى على صفائها بل تصدأ فتحتاج الى جلاء وجلاؤها النظر فى كتب العلم . وقد كان يوسف بن أسباط دفن كتبه ثم لم يصبر على التحديث فحدث من حفظه فخلط ، والثالث أننا نقدر تمام يقظتك ودوامها والغنى عن هذه الكتب فهلا وهبتها لمبتدىء من الطلاب ممن لم يصل الى مقامك أو وقفتها على المنتفعين بها أو بعتها وتصدقت بثمنها أما إتلافها فلا يحل بحال . وقد روى المروزى عن احمد بن حنبل انه سئل عن رجل أوصى أن تدفن كتبه فقال ما يعجبنى أن يدفن العلم . وأنبأنا محمد بن عبدالملك ويحيى بن على قال أنبأنا احمد بن على بن ثابت نا عبيدالله بن عبد العزيز البرادعى نا محمد بن عبدالله السحير ثنا أبو بكر محمد بن احمد بن النحاس قال : سمعت المروزى يقول: سمعت احمد بن حنبل يقول لا أعرف لدفن الكتب معنى .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى إنكارهم من تشاغل بالعلم ﴾

قال المصنف رحمه الله : لما انقسم هؤلاء بين متكاسل عن طلب العلم وبين ظان أن العلم هو ما يقع فى النفوس من ثمرات التعبد وسموا ذلك العلم : العلم الباطن نهوا عن التشاغل بالعلم الظاهر .

أخبرنا عبدالرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن على نا على بن أبى على البصرى ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن احمد بن محمد الطبرى قال سمعت جعفراً الخلدى يقول : لو تركنى الصوفية لجئتكم باسناد الدنيا لقد مضيت الى عباس الدورى وأنا حدث فكتبت عنه مجلساً واحداً وخرجت من عنده فلقينى بعض من كنت أصحبه من الصوفية فقال: إيش هذا معك . فأريته إياه فقال: ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق . ثم خرق الأوراق فدخل كلامه فى قلبى فلم أعد الى عباس .

قال المصنف رحمه الله : وبلغنى عن أبى سعيد الكندى قال كنت أنزل رباط الصوفية وأطلب الحديث فى خفية بحيث لا يعلمون فسقطت الدواة

يوماً من كمى فقال لى بعض الصوفية استر عورتك .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو القاسم هبة الله بن عبد الله الواسطى نا أبو بكر الخطيب نا أبو الفتح بن أبى الفوارس نا الحسين بن احمد الصفار قال : كان بيدى محبرة فقال لى الشبلى غيب سوادك عنى يكفينى سواد قلبى .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبدالله العزال المذكر قال سمعت على بن مهدى يقول: وقفت ببغداد على حلقة الشبلى فنظر إلىّ ومعى محبرة فأنشأ يقول :

تسربلت للحرب ثوب الغرق وجبت البلاد لوجد القلق

ففيك هتكت قناع الغوىّ (١) وعنك نطقت لدى من نطق

اذا خاطبونى بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

قال المصنف رحمه الله قلت : من أكبر المعاندة لله عز وجل الصد عن سبيل الله وأوضح سبيل الله العلم لأنه دليل على الله وبيان لأحكام الله وشرعه وإيضاح لما يحبه ويكرهه فالمنع منه معاداة لله ولشرعه ولكن الناهين عن ذلك ما تفطنوا لما فعلوا . أخبرنا ابن حبيب قال نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: اشتغلوا بتعلم العلم ولا يغرنكم كلام الصوفية فانى كنت أخبىء محبرتى فى جيب مرقعتى والكاغد فى حزة سراويلى وكنت أذهب خفية الى أهل العلم فاذا علموا بى خاصمونى . وقالوا لا تفلح ثم احتاجوا إلىّ بعد ذلك . وقد كان الامام احمد بن حنبل يرى المحابر بأيدى طلبة العلم فيقول : هذه سرج الاسلام . وكان هو يحمل المحبرة على كبر سنه فقال له رجل الى متى يا أبا عبد الله فقال : المحبرة الى المقبرة وقال فى قوله عليه الصلاة والسلام « لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة » فقال احمد : ان لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدرى من هم . وقال أيضاً ان لم يكن أصحاب الحديث الابدال فمن يكون . وقيل له ان رجلا قال فى أصحاب الحديث انهم كانوا قوم سوء فقال احمد : هو زنديق وقد قال الامام الشافعى رحمه الله : اذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث

(١) فى النسخة الثانية : ففيك قناع العزاء

فكأنى رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ . وقال يوسف بن أسباط بطلبة الحديث يدفع الله البلاء عن أهل الأرض .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبد العزيز بن على ثنا ابن جهضم ثنا محمد بن جعفر ثنا احمد بن محمد بن مسروق قال : رأيت كأن القيامة قد قامت والخلق مجتمعون إذ نادى مناد . الصلاة جامعة فاصطف الناس صفوفا فأتانى ملك فتأملته فاذا بين عينيه مكتوب جبريل أمين الله . فقلت أين النبي ﷺ فقال مشغول بنصب الموائد لاخوانه الصوفية . فقلت وأنا من الصوفية فقيل نعم . ولكن شغلك كثرة الحديث .

قال المصنف رحمه الله : معاذ الله أن ينكر جبريل التشاغل بالعلم . وفى إسناد هذه الحكاية ابن جهضم وكان كذاباً ولعلها عمله . وأما ابن مسروق فأخبرنى القزاز نا أبو بكر الخطيب حدثنى على بن محمد بن نصر قال سمعت حمزة بن يوسف قال سمعت الدارقطنى يقول أبو العباس بن مسروق ليس بالقوى يأتى بالمعضلات .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى كلامهم فى العلم ﴾

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن هؤلاء القوم لما تركوا العلم وانفردوا بالرياضيات على مقتضى آرائهم لم يصبروا عن الكلام فى العلوم فتكلموا بواقعاتهم فوقعت الأغاليط القبيحة منهم فتارة يتكلمون فى تفسير القرآن وتارة فى الحديث وتارة فى الفقه وغير ذلك ويسوقون العلوم الى مقتضى علمهم الذى انفردوا به والله سبحانه لا يخلى الزمان من أقوام قوام بشرعه يردون على المتخرصين ويبينون غلط الغالطين .

﴿ ذكر نبذة من كلامهم فى القرآن ﴾

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن على ابن ثابت نا أبو القاسم عبد الواحد بن عثمان البجلى قال سمعت جعفر

ابن محمد الخلدى قال حضرت شيخنا الجنيد وقد سأله كيسان عن قوله عز وجل (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ (1)) فقال الجنيد لا تنس العمل به ، وسأله عن قوله تعالى (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ (2)) فقال له الجنيد تركوا العمل به ، فقال لا يفضض الله فاك

قلت : أما قوله ـ لا تنس العمل به ـ فتفسير لا وجه له والغلط فيه ظاهر لأنه فسره على أنه نهى وليس كذلك إنما هو خبر لا نهى وتقديره ـ فاتنسى ـ إذ لو كان نهياً كان مجزوماً فتفسيره على خـــلاف إجماع العلماء وكذلك قوله (ودرسوا مافيه (3)) إنما هو من الدرس الذى هو التلاوة من قوله عز وجل (وبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (4)) . لا من دروس الشيء الذى هو اهلاكه . أخبرنا محمد بن عبدالباقى نا حمد بن احمد ثنا أبو نعيم الحافظ قال سمعت احمد بن محمد ابن مقسم يقول حضرت أبا بكر الشبلى . وسئل عن قوله عز وجل . (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ (5)) . فقال : لمن كان الله قلبه . وأخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد نا عبدالعزيز بن على نا ابن جهضم ثنا محمد بن جرير قال سمعت أبا العباس بن عطاء وقد سئل عن قوله : (فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ (6)) . قال نجيناك من الغم بقومك وفتناك بنا عن من سوانا .

قال المصنف رحمه الله : وهـذه جرأة عظيمة على كتاب الله عز وجل ونسبة الـكليم إلى الافتنان بمحبـة الله سبحانه . وجعل محبته تفتن غاية فى القباحة . أخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن على الحافظ نا أبو حازم عمر ابن إبراهيم العبدرى قال سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله الرازى يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول فى قوله عز وجل : (فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (7)) فقال الروح النظر إلى وجه الله عز وجل . والريحان الاستماع لكلامه . وجنة نعيم : هو أن لا يحجب فيها عن الله عز وجل . قلت: هـذا كلام بالواقع على خلاف أقوال المفسرين وقد جمع أبو عبـد الرحمن السلمى فى تفسير القرآن من كلامهم الذى أكثره هـذيان لا يحل نحو مجلدين سماها حقائق التفسير فقال فى فاتحة الـكتاب عنهم أنهم قالوا إنما سميت فاتحة الـكتاب لأنها أوائل مافاتحناك به من خطابنا فإن تأدبت بذلك والا حرمت لطائف ما بعد .

(1) سورة الاعلى اية ٦ .
(2) سورة الاعراف اية ١٦٩ .
(3) سورة الاعراف اية ١٦٩ .
(5) سورة ق اية ٣٧ .
(6) سورة طه اية ٤٠ .
(7) سورة الواقعة اية ٨٨ ـ ٨٩ .

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح لأنه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست من أول ما نزل : وقال فى قول الإنسان (آمين) أى قاصدون نحوك.

قال المصنف رحمه الله : وهذا قبيح لأنه ليس من أم لأنه لو كان كذلك لكانت الميم مشددة. وقال فى قوله: (وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ)[1] قال قال أبو عثمان: غرقى فى الذنوب . وقال الواسطى : غرقى فى رؤية أفعالهم . وقال الجنيد . أسارى فى أسباب الدنيا تفدوهم إلى قطع العلائق . قلت . وإنما الآية على وجه الإنكار ومعناها إذا أسرتموهم فديتموهم وإذا حاربتموهم قتلتوهم وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح. وقال محمد بن على . (يحب التوابين) من توبتهم وقال النورى : (يقبض ويبسط) . أى يقبضك بإياه ويبسطك لاياه . وقال فى قوله: (وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا)[2] أى من هواجس نفسه ووساوس الشيطان. وهذا غاية فى القبح لأن لفظ الآية لفظ الخبر ومعناه الأمر وتقديرها من دخل الحرم فأمنوه . وهؤلاء قد فسروها على الخبر ثم لا يصح لهم لأنه كم من داخل إلى الحرم ما أمن من الهواجس ولا الوساوس وذكر فى قوله (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) . قال أبو تراب هى الدعاوى الفاسدة (والجار ذى القربى) . قال سهل هو القلب (والجار الجنب) النفس (وابن السبيل) الجوارح. وقال فى قوله . (وَهَمَّ بِهَا)[3] . قال أبو بكر الوراق الهمان لها ويوسف ما هم بها . قلت : هذا خلاف لصريح القرآن وقوله . (ما هذا بشراً) . قال محمد بن على ما هذا بأهل أن يدعى إلى المباشرة . وقال الزنجانى الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم. وقال فى قوله. (فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا)[4] قال الحسين لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم ان لهم سبيلا اليه بحال . أو للحدث اقتران مع القدم .

قال المصنف رحمه الله . ومن تأمل معنى هذا علم أنه كفر محض لأنه يشير إلى أنه كالهزء واللعب . ولكن الحسين هذا هو الحلاج وهذا يليق بذاك . وقال فى قوله (لَعَمْرُكَ)[5] أى بعمارتك سرك بمشاهدتنا. قلت . وجميع الكتاب من هذا الجنس ولقد هممت أن أثبت منه ها هنا كثيراً فرأيت أن الزمان يضيع فى كتابة شيء بين الكفر والخطأ والهذيان . وهو من جنس

(1) سورة البقرة اية ٨٥ .
(2) سورة ال عمران آية ٩٧ .
(3) سورة يوسف آية ٢٤ .
(4) سورة الرعد آية ٤٢ .
(5) سورة الحجر آية ٧٢ .

ما حكينا عن الباطنية ، فمن أراد أن يعرف جنس ما فى الكتاب فهذا أنموذجه . ومن أراد الزيادة فلينظر فى ذلك الكتاب . وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال : للصوفية استنباط منها قوله : « ادعو الى الله على بصيرة » قال الواسطى : معناه لا أرى نفسى ، وقال الشبلى : لو اطلعت على الكل بما سوانا لوليت منهم فراراً إلينا . قلت : هذا لا يحل لأن الله تعالى إنما أراد أهل الكهف . وهذا السراج يسمى هذه الأقوال فى كتابه مستنبطات . وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب ذم المال فى قوله عز وجل « واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام » قال : إنما عنى الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعبد الآلهة والأصنام ، وإنما عنى بعبادته حبه والاغترار به .

قال المصنف رحمه الله : وهذا شيء لم يقله أحد من المفسرين ، وقد قال شعيب « وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا » ومعلوم أن ميل الأنبياء إلى الشرك أمر ممتنع لأجل العصمة لا أنه مستحيل ، ثم قد ذكر مع نفسه من يتصور فى حقه الإشراك والكفر فجاز أن يدخل نفسه معهم ، فقال « واجنبنى وبنى » ومعلوم أن العرب أولاده وقد عبد أكثرهم الأصنام .

أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق نا المبارك بن عبد الجبار نا الحسين بن على الطناجيرى نا أبو حفص بن شاهين قال : وقد تكلمت طائفة من الصوفية فى نفس القرآن بما لا يجوز فقالت فى قوله : (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ[1]) فقال هم لآيات لى ، فأضافوا إلى الله تعالى ما جعله لأولى الألباب ، وهذا تبديل للقرآن وقالوا (وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ[2]) قالوا : ولى سليمان .

وأخبرنا ابن ناصر نا أحمد بن على بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال : قال أبو حمزه الخراسانى : قد يقطع بأقوام فى الجنة فيقال : « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية » فشغلهم عنه بالأكل والشرب ولا مكر فوق هذا ولا حسرة أعظم منه .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا وفقكم الله إلى هذه الحماقة وتسمية المغتر به مكراً ، وإضافة المكر بهذا إلى الله سبحانه وتعالى . وعلى مقتضى

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٠ .
(٢) سورة سبأ آية ١٢ .

قول هذا أن الأنبياء لا يأكلون ولا يشربون بل يكونون مشغولين بالله عز وجل . فما أجرأ هذا القائل على مثل هذه الألفاظ القباح . وهل يجوز أن يوصف الله عز وجل بالمكر على ما نعقله من معنى المكر . وإنما معنى مكره وخداعه أنه مجازى الماكرين والخادعين . وإنى لأتعجب من هؤلاء وقد كانوا يتورعون من اللقمة والكلمة كيف انبسطوا فى تفسير القرآن إلى ما هذا حده . وقد أخبرنا على بن عبيد الله وأحمد بن الحسن وعبد الرحمن ابن محمد قالوا : حدثنا عبد الصمد بن المأمون نا على بن عمر الحربى ثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ثنا بشر بن الوليد ثنا سهيل أخو حزم ثنا أبو عمران الجونى عن جندب قال : قال رسول الله ﷺ « من قال فى القرآن برأيه فقد أخطأ » . أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنا وكيع عن الثورى عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : قال رسول الله ﷺ « من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » .

قال المصنف رحمه الله : وقد رويت لنا حكاية عن بعضهم فيما يتعلق بالمكر إنى لأقشعر من ذكرها لكنى أنبه بذكرها على قبح ما يتخايله هؤلاء الجهلة . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا أبو عبد الله ابن باكويه قال : أخبرنا أبو عبد الله بن خفيف قال سمعت رويما يقول : اجتمع ليلة بالشام جماعة من المشايخ فقالوا ما شهدنا مثل هذه الليلة وطيبها فتعالوا نتذاكر مسألة لئلا تذهب ليلتنا فقالوا : نتكلم فى المحبة فانها عمدة القوم فتكلم كل واحد من حيث هو . وكان فى القوم عمرو بن عثمان المكى فوقع عليه البول ولم يكن من عادته فقام وخرج إلى صحن الدار فإذا ليلة مقمرة فوجد قطعة رق مكتوب فأخذه وحمله اليهم وقال : يا قوم اسكنوا فان هذا جوابكم . أنظروا ما فى هذه الرسالة فاذا فيها مكتوب مكار مكار وكلكم يدعون حبه وأحرم البعض وافترقوا فما جمعهم إلا الموسم .

قال المصنف رحمه الله ، قلت : هذه بعيدة الصحة وابن خفيف لا يوثق به وإن صحت فان شيطاناً ألقى ذلك الرق ، وإن كانوا قد ظنوا أنها رسالة من

الله بظنونهم الفاسدة . وقد بينا أن معنى المكر منه المجازاة على المكر . فأما أن يقال عنه مكار ففوق الجهل وفوق الحماقة .

وقد أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا الأزجي ثنا ابن جهضم ثنا الخلدى قال سمعت رويما يقول : إن الله غيب أشياء فى أشياء غيب مكره فى علمه. وغيب خداعه فى لطفه وغيب عقوباته فى باب كراماته. قلت . وهذا تخليط من ذلك الجنس وجرأة . أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت خالى يقول قال الحسن بن علويه. خرج أبو يزيد لزيارة أخ له فلما وصل إلى نهر جيحون التق له حافتا النهر . فقال سيدى . ايش هذا المكر الخفى . وعزتك ما عبدتك لهذا ثم رجع ولم يعبر. قال السهلكى. وسمعت محمد بن احمد المذكر يذكران أبا يزيد قال من عرف الله عز وجل صار للجنة بوابا وصارت الجنة عليه وبالا .

قلت : وهذه جرأة عظيمة فى إضافة المكر إلى الله عز وجل وجعل الجنة التى هى نهاية المطالب وبالا وإذا كانت وبالا للعارفين فكيف تكون لغيرهم . وكل هذا منبعه من قلة العلم وسوء الفهم . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا أبو الفرج الوريانى ثنا احمد بن الحسن بن محمد ثنى محمد بن جعفر الوراق ثنا احمد بن العباس المهلبي قال سمعت طيفور وهو أبو يزيد يقول العارفون فى زيارة الله تعالى فى الآخرة على طبقتين طبقة تزوره متى شاءت وانى شاءت. وطبقة تزوره مرة واحدة ثم لا تزوره بعدها أبداً فقيل له كيف ذلك قال . إذا رآه العارفون أول مرة جعل لهم سوقاً ما فيه شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء فمن دخل منهم السوق لم يرجع الى زيارة الله أبداً قال وقال أبو يزيد . فى الدنيا يخدعك بالسوق وفى الآخرة يخدعك بالسوق فأنت أبداً عبد السوق .

قال المصنف رحمه الله . تسمية ثواب الجنة خديعة وسبباً للانقطاع عن الله عز وجل قبيح وإنما يجعل لهم السوق ثواباً لا خديعة فإذا أذن لهم فى أخذ ما فى السوق ثم عوقبوا بمنع الزيارة فقد صارت المثوبة عقوبة . ومن أين له أن من اختار شيئاً من ذلك السوق لم يعد إلى زيارة الله تبارك وتعالى

ولا يراه أبداً نعوذ بالله من هذا التخليط [illegible] في العلم والاخبار عن هذه الـ[illegible]ـيات التي لا يعلمها إلا نبي فمن أين علمها [illegible] قال أبو هريرة وأين الحديث لسعيد بن المسيب : تغشى الله وإياك [illegible] اقرأه [illegible] ترك الشهوة [illegible] الله عز وجل لمكان [illegible] وافتاءهم [illegible] اقتعاتهم [illegible] القضايا وليعلم أن الخواطر والواقعات إنما هي ثمرات [illegible] كان عالماً كانت خواطره صحيحة لأنها ثمرات علمه ومن كان جاهلاً فثمرات الجهل كلها خطأ . ورأيت بخط ابن عقيل : جاز أبو يزيد على مقابر اليهود فقال ما هؤلاء حتى تعذبهم كف عظام جرت عليهم القضايا أعف عنهم .

قال المصنف رحمه الله : وهذا قلة علم وهو أن قوله ـ كف عظام ـ احتقار للآدمى فإن المؤمن إذا مات كان كف عظام : وقوله ـ جرت عليهم القضايا ـ فكذلك جرى على فرعون ، وقوله ، أعف عنهم ، جهل بالشريعة لأن الله عز وجل أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافراً فلو قبلت شفاعته فى كافر لقبل سؤال إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه فى أبيه ، ومحمد ﷺ فى أمه فنعوذ بالله من قلة العلم .

أنبأنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى نا أبو بكر احمد بن أبى نصر الكوفانى ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن قورى الحوبيانى نا أبو نصر عبدالله بن على الطوسى المعروف بالسراج قال كان ابن سالم يقول عبر أبو يزيد على مقبرة اليهود . فقال : معذورين . ومر بقبر المسلمين . فقال مغرورين . قال المصنف رحمه الله . وفسره السراج فقال كأنه لما نظر إلى ماسبق لهم من الشقاوة . من غير فعل كان موجوداً فى الازل وان الله عز وجل جعل نصيبهم السخط فذلك عذر .

قال المصنف رحمه الله : وتفسير السراج قبيح لأنه يوجب أن لا يعاقب فرعون ولا غيره .

ومن كلامهم فى الحديث وغيره . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا الأزهرى نا احمد بن إبراهيم بن الحسن ثنا عبدالله بن احمد ابن حنبل قال جاء أبو تراب النخشبى الى أبى فجعل أبى يقول : فلان ضعيف

وفلان ثقة فقال أبو تراب . ياشيخ لا تغتب العلماء فالتفت أبي إليه وقال له . ويحك هذه نصيحة ليست هذه غيبة . أنبأنا يحيي بن علي المدبر نا أحمد بن على ابن ثابت نا رضوان بن محمد بن الحسن الدينوري قال سمعت احمد بن محمد بن عبدالله النيسابوري يقول سمعت أبا الحسن على بن محمد البخاري يقول سمعت محمد بن الفضل العباسي يقول . كنا عند عبد الرحمن بن أبي حاتم وهو يقرأ علينا كتاب الجرح والتعديل فقال اظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة . فقال له يوسف بن الحسين . استحييت إليك يا أبا محمد كم من هؤلاء القوم قد حطوا رواحلهم فى الجنة منذ مائة سنة أو مائتى سنة وأنت تذكرهم وتغتابهم على أديم الأرض . فبكى عبد الرحمن وقال يا أبا يعقوب لو سمعت هذه الكلمة قبل تصنيف هذا الكتاب لم أصنفه . قلت عفا الله عن ابن أبي حاتم فانه لو كان فقيهاً لرد عليه كما رد الإمام أحمد على أبي تراب . ولولا الجرح والتعديل من أين كان يعرف الصحيح من الباطل . ثم كون القوم فى الجنة لا يمنع أن نذكرهم بما فيهم وتسمية ذلك غيبة حديث سوء . ثم من لا يدرى الجرح والتعديل كيف هو يزكى كلامه . وينبغى ليوسف أن يشتغل بالعجائب التى تحكى عن مثل هذا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله بن يزيد الاردبيلي يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول من عرف الله أمسك عن رفع حوائجه إليه لما علم أنه العالم بأحواله . قلت هذا سد لباب السؤال والدعاء وهو جهل بالعلم .

أخبرنا محمد بن عبدالملك بن خيرون نا أحمد بن الحسن الشاهد قال قرىء على محمد بن الحسن الاهوازى وأنا أسمع أبا بكر الدبف الصوفى وقال سمعت الشبلي وقد سأله شاب يا أبا بكر لم تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله ،فقال الشبلي . استحي أن أوجه إثباتاً بعد نفي . فقال الشاب أريد حجة أقوى من هذه.فقال أخشى أنى أؤخذ فى كلمة الوجود ولا أصل إلى كلمة الاقرار.

قال المصنف رحمه . أنظروا إلى هذا العلم الدقيق فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بقول لاإله إلا الله ويحث عليها . وفى الصحيحين عنه أنه كان يقول

فى كل دبر صلاة لا إله إلا الله وحده لاشريك له وكان يقول إذا قام لصلاة الليل لاإله إلا أنت . وذكر الثواب العظيم لمن يقول لاإله إلا الله فانظروا إلى هذا التعاطى على الشريعه واختيار مالم يختره رسول الله ﷺ .

أخبرنا محمد بن عبدالباقى ثنا أبوعلى الحسن بن محمد بن الفضل نا سهل ابن على الحساب نا عبدالله بن على السراج قال بلغنى أن أبا الحسن النورى شهدوا عليه أنه سمع أذان المؤذن فقال طعنه سم الموت وسمع نباح كلب فقال لبيك وسعديك فقيل له فى ذلك فقال . ان الرجل المؤذن أغار عليه أن يذكر الله وهو غافل ويأخذ عليه الأجرة ولولاها ما أذن فلذلك قلت طعنه سم الموت والكلب يذكر الله عز وجل بلا رياء فانه قد قال (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ[1])

قال المصنف رحمه الله . انظروا اخوانى عصمنا الله وإياكم من الزلل إلى هذا الفقه الدقيق والاستنباط الطريف .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا أبو يعقوب الخراط نا النورى أنه رأى رجلا قابضا على لحية نفسه قال فقلت له نح يدك عن لحية الله فرفع ذلك إلى الخليفة فطلبت وأخذت فلما دخلت عليه قال بلغنى أنه نبح كلب فقلت لبيك ونادى المؤذن فقلت طعنه قال نعم قال الله عز وجل (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ[2]) فقلت لبيك لأنه ذكر الله . فأما المؤذن فانه يذكر الله وهو متلوث بالمعاصى غافل عن الله تعالى قال وقولك للرجل . نح يدك عن لحية الله . قلت نعم . أليس العبد لله ولحيته لله وكل ما فى الدنيا والآخرة له . قلت عدم العلم أوقع هؤلاء فى هذا التخبيط وما الذى أحوجه إلى أن يوهم أن صفة الملك صفة الذات .

أخبرنا ابن حبيب قال ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت احمد ابن محمد بن عبد العزيز قال سمعت الشبلى يقول : وقد سئل عن المعرفة . فقال . ويحك ما عرف الله من قال الله . والله لو عرفوه ماقالوه . قال ابن باكويه وسمعت أبا القاسم أحمد بن يوسف البرادانى يقول سمعت الشبلى يقول يوماً لرجل يسأله . ما اسمك ؟ قال آدم . قال وبلك . أتدرى ما صنع آدم ؟ باع ربه بلقمه . ثم كان يقول سبحان من عذرنى بالسوداء قال ابن باكويه

(١) سورة الاسراء آية ٤٤ . (٢) سورة الاسراء آية ٤٤ .

وسمعت بكران بن احمد الجيلي يقول . كان للشبلي جليس فأعلمه أنه يريد التوبة فقال . بع مالك ، واقض دينك ، وطلق امرأتك . ففعل . فقال : أيتم أولادك بأن تويسهم من التعلق بك فقال قد فعلت فجاء بكسر قدجمعها . فقال اطرحها بين يدى الفقراء وكل معهم .

أنبأنا أبو المظفر عبدالمنعم بن عبدالكريم نا أبي . قال : سمعت بعض الفقراء يقول سمعت أباالحسن الحرفاني يقول لاإلهإلاالله من داخل القلب محمد رسول الله من القرط .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق ثنا ابن باكويه قال أخبرنا احمد بن محمد الحلفاى قال . رأى الشبلي فى الحمام غلاماً شاباً بلامئزر.فقال له ياغلام ألا تغطى عورتك . فقال له : اسكت يا بطال : ان كنت على الحق فلا تشهد إلا الحق ، وإن كنت على الباطل فلا تشهد إلا الباطل . لأن الحق مشتغل بالحق ، والباطل مشتغل بالباطل .

أنبأنا أبو بكر محمد بن أبي طاهر نا على بن المحسن التنوخي عن أبيه ثنى أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر السيرافى الفقيه . قال حضرت بشيراز عند قاضيها أبي سعيد بشر بن الحسن الداودى ـ وقد ارتفع اليه صوفى وصوفية ـ قال وأمر الصوفية هناك مفرط جداً حتى يقال ان عددهم الوف فاستعدت الصوفية على زوجها إلى القاضى فلما حضرا قالت له : أيها القاضى ، ان هذا زوجي ويريد أن يطلقني وليس له ذلك فان رأيت أن تمنعه . قال . فأخذ القاضى أبو سعيد يتعجب ـ وحنق على مذاهب الصوفية ـ ثم قال لها . وكيف ليس له ذلك قالت : لأنه تزوج بى ومعناه قائم بى والآن هو يذكر ان معناه قد انقضى منى وأنا معناى قائم فيه ما أنقضى فيجب عليه أن يصير حتى ينقضى معناى منه كما انقضى منعاه منى فقال لى أبو سعيد : كيف ترى هذا الفقه : ثم أصلح بينهما وخرجا من غير طلاق . وقد ذكر أبو حامد التلوسى فى كتاب الأحياء ان بعضهم قال : للربوبية سر لوأظهر بطلت النبوةوللنبوة سر لو كشف لبطل العلم . وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام .

قلت : فانظهروا إخوانى إلى هذا التخليط القبيح والادعاء على الشريعة

أن ظاهرها يخالف باطنها قال أبو حامد : ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فقيل له : لو سألت الله أن يرده عليك فقال : اعتراضي عليه فيما يقضي أشد علي من ذهاب ولدي .

قلت : لقد طال تعجبي من أبي حامد كيف يحكي هذه الأشياء في معرض الاستحسان والرضى عن قائلها وهو يدري أن الدعاء والسؤال ليس باعتراض وقال أحمد الغزالي : دخل يهودي الى أبي سعيد بن أبي الخير الصوفي . فقال له أريد أن أسلم على يديك فقال : لا ترد فاجتمع الناس وقالوا : يا شيخ تمنعه من الاسلام فقال له : تريد بلا بد قال : نعم . قال له برئت من نفسك ومالك قال : نعم قال : هذا الاسلام عندي احملوه الآن الى الشيخ أبي حامد يعلم لا لا المنافقين . يعني لا إله إلا الله قلت : وهذا الكلام أظهر عيباً من أن يعاب فانه في غاية القبح . ومما يقارب هذه الحكاية في دفع من أراد الاسلام . ما أخبرنا به أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت أخبرني محمد بن احمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبي قال سمعت أبا علي الحسين بن محمد بن احمد الماسرخسي يحكي عن جده وغيره من أهل بيته قال كان الحسن والحسين ابنا عيسى بن ماسرخس أخوين يركبان فيتحير الناس من حسنهما وزيهما فاتفقا على أن يسلما فقصدا حفص بن عبدالرحمن ليسلما على يده فقال لهما حفص أنتما من أجل النصارى وعبدالله بن المبارك خارج في هذه السنة الحج واذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين فانه شيخ أهل المشرق والمغرب فانصرفا فرض الحسين ومات على نصرانيته قبل قدوم ابن المبارك فلما قدم أسلم الحسن قلت : وهذه المحنة إنما جلبها الجهل فليعرف قدر العلم لأنه لو كان عنده حظ من علم لقال أسلما الآن ولا يجوز تأخير ذلك لحظة واعجب من هذا أبو سعيد الذي قال لليهودي ما قال لأنه يريد الإسلام . وذكر أبو نصر السراج في كتاب اللمع لمع المتصوفة قال : كان سهل بن عبدالله اذا مرض أحد من أصحابه يقول له : إذا أردت أن تشتكي فقل أوه فهو اسم من أسماء الله تعالى يستريح اليه المؤمن ولا تقل أفرج فانه اسم من أسماء الشيطان . فهذه نبذة من كلام القوم وفقههم نبهت على علمهم وسوء فهمهم وكثرة خطئهم . وقد سمعت أبا عبدالله حسين بن

على المقرى يقول سمعت أبا محمد عبدالله بن عطاء الهروى يقول سمعت عبد الرحمن ابن محمد بن المظفر يقول سمعت أبا عبد الرحمن بن الحسين يقول سمعت عبدالله بن الحسين السلامى يقول سمعت على بن محمد المصرى يقول سمعت أيوب بن سليمان يقول سمعت محمد بن محمد بن ادريس الشافعى يقول سمعت أبى يقول . صحبت الصوفية عشرة سنين ما استفدت منه إلا هذين الحرفين: الوقت سيف ، وأفضل العصمة أن لا تقدر .

﴿ ذكر تلبيس إبليس فى الشطح والدعاوى ﴾

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن العلم يورث الخوف واحتقار النفس وطول الصمت واذا اعتبرت علماء السلف رأيت الخوف غالباً عليهم والدعاوى بعيدة عنهم كما قال أبو بكر : ليتنى كنت شعرة فى صدر مؤمن . وقال عمر عند موته الويل لعمر ان لم يغفر له وقال ابن مسعود : ليتنى اذا مت لا أبعث وقالت عائشة رضى الله عنها : ليتنى كنت نسياً منسياً . وقال سفيان الثورى لحماد بن سلمة عند الموت ترجو أن يغفر لمثلى .

قال المصنف رحمه الله : وإنما صدر مثل هذا عن هؤلاء السادة لقوة علمهم بالله وقوة العلم به تورث الخوف والخشية . قال الله عز وجل « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وقال ﷺ « أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » ولما بعد عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوى .

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الفضل محمد بن على السهلكى قال : سمعت أبا عبدالله محمد بن عبدالله الشيرازى يقول ثنا أبو بكر عمر بن يحيى ثنا أبو عمر الرهاوى ثنا احمد بن محمد الجزرى قال سمعت أبا موسى الدبيلى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى يقول : وددت ان قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتى على جهنم فسأله رجل ولم ذاك يا أبا يزيد فقال : انى أعلم أن جهنم اذا رأتنى تخمد فأكون رحمة للخلق . أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا ابن باكويه ثنى ابراهيم بن محمد ثنى حسن بن علوية ثنى طيفور بن عيسى ثنى أبو موسى الدبيلى قال : سمعت أبا يزيد يقول . إذا كان

يوم القيامة وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فاسأله أن يدخلني النار فقيل له لم : قال حتى تعلم الخلائق أن بره ولطفه فى النار مع أوليائه .

قال المصنف رحمه الله : هذا الكلام من أقبح الأقوال لانه يتضمن تحقير ما عظم الله عز وجل أمره من النار فانه عز وجل بالغ فى وصفها فقال : (﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (١)) وقال : (﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (٢)) الى غير ذلك من الآيات . وقد أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن أعين ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا اسماعيل ثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ ان ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم . قالوا له الصحابة والله ان كانت لكافية يا رسول الله . قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها أخرجاه فى الصحيحين . وفى أفراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ انه قال : يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » . أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن احمد نا أبو على التميمي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن احمد ثنى أبي ثنا بهز بن أسد ثنا جعفر بن سليمان ثنا على بن زيد عن مطرف عن كعب قال قال عمر بن الخطاب : يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لازدرأت عملك مما ترى فأطرق عمر رضى الله عنه ملياً ثم أفاق قال : زدنا يا كعب قلت : يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها . فأطرق عمر ملياً ثم أفاق فقال : زدنا يا كعب قلت: يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مصطفى إلا خر جاثياً على ركبتيه ويقول رب نفسى نفسى لا أسألك اليوم غير نفسى . أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد نا حمد بن احمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ ثنا أبي ثنا احمد بن محمد بن الحسن البغدادي ثنا ابراهيم بن عبدالله الجنيد ثنا عبدالله ابن محمد بن عائشة ثنا سالم الخواص عن فرات بن السائب عن زاذان قال : سمعت كعب الأحبار يقول : اذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين

---

(١) سورة البقرة اية ٢٤ . (٢) سورة الفرقان آية ١٢ .

فى صعيد واحد ونزلت الملائكة وصارت صفوفاً فيقول يا جبرائيل ائتنى بجهنم فيأتى بها جبريل فتقاد بسبعين ألف زمام حتى اذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول فيفزع كل امرىء الى عمله حتى أن ابراهيم الخليل يقول بخلتى لا أسألك الا نفسى . ويقول موسى بمناجاتى لا أسألك الا نفسى . وان عيسى ليقول بما أكرمتنى لا أسألك الا نفسى لا أسألك مريم التى ولدتنى .

قلت وقد روينا أن النبى ﷺ قال يا جبرائيل مالى أرى ميكائيل لا يضحك فقال : ما ضحك ميكائيل مذ خلقت النار وما جفت لى عين مذ خلقت جهنم مخافة أن أعصى الله فيجعلنى فيها . وبكى عبدالله بن رواحة يوماً فقالت : امرأته مالك تبكى قال أنبئت انى وارد ولم أنبأ أنى صادر .

قال المصنف رحمه الله : فاذا كانت هذه حالة الملائكة والأنبياء والصحابة وهم المطهرون من الأدناس وهذا انزعاجهم لأجل النار فكيف هانت عند هذا المدعى ثم انه يقطع لنفسه بما لا يدرى به من الولاية والنجاة وهل قطع بالنجاة الا لقوم مخصوصين من الصحابة . وقد قال ﷺ « من قال انى فى الجنة فهو فى النار » وهذا محمد بن واسع يقول عند موته يا أخوتاه أتدرون أين يذهب بى يذهب بى والله الذى لا إله إلا هو الى النار أو يعفو عنى . قلت وهذا ان صح عن هذا المدعى فهذا غاية من تلبيس إبليس . وقد كان ابن عقيل يقول : قد حكى عن أبى يزيد انه قال . وما النار والله لئن رأيتها لأطفأنها بطرف مرقعتى أو نحو هذا قال . ومن قال هذا كائن من كان فهو زنديق يجب قتله فان الاهوان للشىء ثمرة الجحد لأن من يؤمن بالجن يقشعر فى الظلمة ومن لا يؤمن لا ينزعج وربما قال يا جن خذونى . ومثل هذا القائل ينبغى أن يقرب الى وجهه شمعة فاذا انزعج قيل له هذه جذوة من نار . أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبدالله الشيرازى يقول ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علوية يقول : سمعت طيفور الصغير يقول سمعت عمى خادم أبى يزيد يقول . سمعت أبا يزيد يقول

سبحانى سبحانى ما أعظم شأنى . ثم قال : حسبى من نفسى حسبى : قلت هذا إن صح عنه فربما يكون الراوى لم يفهم لأنه يحتمل أن يكون قد ذكر تمجيد الحق نفسه فقال فيه . « سبحانى » . حكاية عن الله لا عن نفسه . وقد تأوله له الجنيد بشيء إن لم يرجع إلى ماقلته فليس بشيء. فأنبأنا ابن ناصر ناالسهلكى نامحمد بن القاسم الفارسي سمعت الحسن بن على المذكر سمعت جعفر الخلدى يقول . قيل للجنيد إن أبا يزيد يقول سبحانى سبحانى أنا ربى الأعلى :فقال الجنيد . إن الرجل مستهلك فى شهود الجلال فنطق بما استهلكه ،أذهله الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق فنعته . قلت وهذا من الخرافات . أنبأنا الحسن عن محمد بن الفضل الكرمانى ناسهل بن على الخشاب،وأنبأنا أبو الوقت عبد الأول ناأحمد بن أبى نصر الكوفانى ناالحسن بن محمد بن فوزى ناعبدالله ابن على السراج قال سمعت احمد بن سالم البصرى بالبصرة يقول فى مجلسه يوماً فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد لأن فرعون قال « أنا ربكم الأعلى » والرب يسمى به المخلوق يقال رب الدر. وقال أبو يزيد سبحانى سبحانى لايجوز إلا لله . فقلت قد صح عندك هذا عن أبى يزيد فقال قد قال ذلك . فقلت يحتمل أن يكون لهذا الكلام مقدمات يحكى بأن الله يقول سبحانى لأنا لو سمعنا رجلا يقول « لا إله إلا أنا » علمنا أنه يقرأ . وقد سألت جماعة من أهل بسطام من بيت أبى يزيد عن هذا فقالوا لا تعرف هذا . أنبأنا ابن ناصر ناأبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبدالله الشيرازى يقول سمعت عامر بن احمد قال سمعت الكتانى يقول حدثنى أبو موسى الدئيلى قال سمعت أبا يزيد يقول. كنت أطوف حول البيت أطلبه فلما وصلت اليه رأيت البيت يطوف حولى . قال الشيرازى . وحدثنا إبراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علويه يقول سمعت طيفور الصغير يقول سمعت أبا يزيد يقول حججت أول حجة فرأيت البيت : وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت. وحججت الثالثة فلم أر البيت ولا صاحب البيت. قال الشيرازى وسمعت محمد بن داوديه يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت أبا موسى الدئيلى يقول سمعت أبا يزيد « وسئل عن اللوح المحفوظ » . قال ـ أنا اللوح المحفوظ . قال الشيرازى وسمعت المظفر بن عيسى المراغى . يقول سمعت سبرين

يقول سمعت أباموسى الديلي .يقول قلت لأبي يزيدبلغني أن ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل قال أنا أولئك الثلاثة فقلت كيف . قال قلبي واحد . وهمي واحد . وروحي واحد . قلت وبلغني أن واحداً قلبه على قلب إسرافيل . قال وأنا ذلك الواحد ومثلي مثل بحر مصطلم لا أول له ولا آخر : قال السهلكي وقرأ رجل عند أبي يزيد « إن بطش ربك لشديد » فقال أبويزيد وحياته إن بطشي أشد من بطشه . وقيل لأبي يزيد . بلغنا إنك من السبعة . قال : أنا كل السبعة . وقيل له . إن الخلق كلها تحت لواء سيدنا محمد ﷺ فقال. والله ان لوائى أعظم من لواء محمد . لوائى من نور تحته الجن والإنس كلهم مع النبيين،وقال أبو يزيد . سبحانى سبحانى ما أعظم سلطانى ليس مثلى فى السماء يوجد ولا مثلى صفة فى الأرض تعرف أنا هو وهو أنا وهو هو. أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبدالباقى قالا نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا احمد ابن أبي عمران ثنا منصور بن عبدالله . قال سمعت أبي يقول قيل لأبي يزيد إنك من الابدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض ، فقال : أنا كل السبعة . أنبانا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا الحسين محمد بن القاسم الفارسى قال سمعت أبا نصر بن محمد بن إسماعيل البخارى يقول سمعت أبا الحسين على بن محمد الجرجانى يقول سمعت الحسن بن على بن سلام يقول دخل أبو يزيد مدينة فتبعه منها خلق كثير فالتفت اليهم فقال « إنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى » . فقالوا : جن أبو يزيد فتركوه ، قال : الفارسى وسمعت أبا بكر احمد بن محمد النيسابورى قال : سمعت ابا بكر احمد بن إسرائيل قال سمعت خالى على بن الحسين يقول سمعت الحسن بن على بن حياة يقول سمعت عمي وهو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخى أبي يزيد قال سمعت أبي يقول قال أبو يزيد : رفع بي مرة حتى قمت بين يديه.فقال لى. يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك .قلت ياعزيزى وأنا أحب أن يرونى. فقال يا أبايزيد إنى أريد أريكهم . فقلت ياعزيزى إن كانوا يحبون أن يرونى وأنت تريد ذلك وأنا لا أقدر على مخالفتك . قربنى بوحدانيتك . وألبسنى ربانيتك ، وارفعنى إلى أحديتك . حتى إذا رآنى خلقك قالوا رأيناك فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ففعل بي ذلك وأقامنى وزينى ورفعنى

ثم قال اخرج إلى خلقي فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق خارجاً فلما كان من الخطوة الثانية غشى عليّ فنادى ردوا حبيبي فإنه لا يصبر عني ساعة . أنبانا ابن ناصر نا السهلكي . قال سمعت محمد بن إبراهيم الواعظ يقول سمعت محمد بن محمد الفقيه يقول سمعت احمد بن محمد الصوفي يقول سمعت أباموسى يقول حكى عن أبي يزيد أنه قال أراد موسى عليه الصلاة السلام أن يرى الله تعالى . وأنا ما أردت أن أرى الله تعالى هو أراد أن يراني . أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق الحيري ثنا أبو عبدالله ابن باكويه ثنا أبو الطيب بن الفرغاني قال سمعت الجنيد بن محمد يقول . دخل عليّ أمس رجل من أهل بسطام فذكر أنه سمع ابا يزيد البسطامي يقول : اللهم ان كان في سابق علمك أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقي حتى لا تسع معي غيري

قال المصنف رحمه الله : أما ماتقدم من دعاويه فلايخفى قبحها . وأما هذا القول فخطأ من ثلاثة أوجه . أحدها أنه قال ان كان في سابق علمك وقد علمنا قطعاً انه لا بد من تعذيب خلق بالنار وقد سمى الله عز وجل منهم خلقاً . كفرعون وأبي لهب فكيف يجوز أن يقال بعد القطع واليقين إن كان . والثاني قوله تعظم خلقي فلو قال لادفع عن المؤمنين ولكنه قال حتى لاتسع غيري فاشفق على الكفار أيضاً وهذا تعاط على رحمة الله عز وجل . والثالث أن يكون جاهلا بقدر هذه النار أو واثقاً من نفسه بالصبر وكلا الأمرين معدوم عنده قلت : ثم قال والله لقد تكلمت أمس مع الخضر في هذه المسألة وكانت الملائكة يستحسنون قولي . والله عز وجل يسمع كلامي فلم يعب عليّ ولو عاب عليّ لاخرسني . قلت لو لا أن هذا الرجل قد نسب إلى التغير لكان ينبغي أن يرد عليه . وأين الخضر ومن أين له أن الملائكة تستحسن قوله . وكم من قول معيب لم يعاجل صاحبه بالعقوبة وقد بلغني عن ميمون عبده قال بلغني عن سمنون المحب أنه كان يسمى نفسه الكذاب بسبب أبياته التي قال فيها .

وليس لى فى شواك حظ فكيفما ماشئت فامتحنى

فابتلى بحبس البول فلم يقر له قرار فكان بعد ذلك يطوف على المكاتب وبيده قارورة يقطر منها بوله ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب .

قال المصنف رحمه الله : إنه ليقشعر جلدى من هذه أتراه على مايتقاوى وإنما هذه ثمرة الجهل بالله سبحانه وتعالى ولو عرفه لم يسأله إلا العافية . وقد قال من عرف الله كلّ لسانه . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال : سمعت محمد بن داود الجوزجانى يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول : كنت أرد هذه الكرامات حتى حدثنى الثقة عن أبى الحسين النورى وسألته فقال كذا كان . قال : كنا فى سميرية فى دجلة فقالوا لأبى الحسين أخرج لنا من دجلة سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقٍ فحرك شفتيه . فاذا سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواق ظهرت من الماء حتى وقعت فى السميريه . فقيل لأبى الحسين : سألناك بالله إلا أخبرتنا بماذا دعوت فقال : قلت وعزتك لئن لم تخرج من الماء حوتاً فيها ثلاث أرطال وثلاث أواق لأغرقن نفسى فى دجلة . أخبرنا أبومنصور القزاز نا أبو بكر ابن ثابت قال أخبرنى عبد الصمد بن محمد الخطيب ثنا الحسن بن الحسين الهمدانى قال سمعت جعفراً الخلدى سمعت الجنيد يقول سمعت النورى يقول : كنت بالرقة فجاءنى المريدون الذين كانوا بها . وقالوا . نخرج ونصطاد السمك . فقالوا لى يا أبا الحسين هات من عبادتك واجتهادك وما أنت عليه من الاجتهاد سمكة يكون فيها ثلاثة أرطال لاتزيد ولا تنقص. فقلت لمولاى إن لم تخرج إلى الساعة سمكة فيها ما قد ذكروا لأرمين بنفسى فى الفرات . فأخرجت سمكة فوزنتها فإذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان . قال الجنيد : فقلت له يا أبا الحسين لو لم تخرج كنت ترمى بنفسك قال نعم . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه نا أبو يعقوب الخراط . قال قال لى أبو الحسين النورى كان فى نفسى من هذه الكرامات شيء وأخذت من الصبيان قصبة وقمت بين زورقين وقلت وعزتك لئن لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص لا آكل شيئاً . قال فبلغ ذلك الجنيد فقال : كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسى يقول سمعت الرقى يقول سمعت على بن محمد بن أبان قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول :أكبر ذنبى إليه معرفتى إياه .

قال المصنف رحمه الله . هذا ان حمل على معنى انى لما عرفته لم أعمل بمقتضى معرفته فعظم ذنبى كما يعظم جرم من علم وعصى وإلا فهو قبيح . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه ثنى احمد الحلفاى قال سمعت الشبلى يقول : أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك . أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب . وأخبرنا أبو الوقت نا احمد بن أبى نصر نا الحسن بن محمد بن فورى قالا نا عبد الله ابن على السراج قال سمعت أبا عبدالله احمد بن محمد الهمدانى يقول . دخلت على الشبلى فلما قمت لأخرج كان يقول لى ولمن معى الى أن خرجنا من الدار مروا أنا معكم حيث ما كنتم وأنتم فى رعايتى وكلاءتى . نا محمد بن ناصر نا أبو عبدالله الحميدى نا أبو بكر محمد بن احمد الاردستانى نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت منصور بن عبد الله يقول . دخل قوم على الشبلى فى مرض موته الذى مات فيه . فقالوا كيف تجدك يا أبا بكر فأنشأ يقول :

ان سلطان حبه   قال لا أقبل الرشا
فسلوه فديته   ما لقتلى تحرشا

قال ابن عقيل وقد حكى عن الشبلى أنه قال أن الله سبحانه وتعالى . قال (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ‌[1]) . والله لا رضى محمد ﷺ وفى النار من أمته أحد . ثم قال ان محمداً يشفع فى أمته وأشفع بعده فى النار حتى لا يبقى فيها أحد قال ابن عقيل والدعوى الأولى على النبى ﷺ كاذبة فإن النبى ﷺ يرضى بعذاب الفجار . كيف وقد لعن فى الخمر عشرة . فدعوى أنه لا يرضى بتعذيب الله عز وجل للفجار دعوى باطلة وإقدام على جهل بحكم الشرع . ودعواه بأنه من أهل الشفاعة فى الكل وأنه يزيد على محمد ﷺ كفر لأن الإنسان متى قطع لنفسه بأنه من أهل الجنة كان من أهل النار فكيف وهو يشهد لنفسه بأنه على مقام يزيد على مقام النبوة بل يزيد على المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى . قال ابن عقيل والذى يمكننى فى حق أهل البدع لسانى وقلبى ولو اتسعت قدرتى فى السيف لرويت الثرى من دماء خلق .

أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت أخبرنا جعفر بن احمد ثنا أبو طاهر محمد ابن على العلاف سمعت أبا الحسين بن سمعون سمعت أبا عبد الله العلق

(١) سورة الضحى آية ٥ .

صاحب أبا العباس بن عطاء سمعت أبا العباس بن عطاء يقول . قرأت القرآن فما رأيت الله عز وجل ذكر عبداً فأثنى عليه حتى ابتلاه . فسألت الله تعالى أن يبتليني فما مضت الأيام والليالي حتى خرج من داري نيف وعشرون ميتاً. ما رجع منهم أحد . قال وذهب ماله ، وذهب عقله ، وذهب ولده وأهله . فمكث بحكم الغلبة سبع سنين أو نحوها . وكان أول شيء قاله بعد صحوه من غلبته

حقا أقول لقد كلفتني شططا حملى هواك وصبرى ان ذا عجب

قلت : قلة علم هذا الرجل أمر ان سأل البلاء . وفي سؤال البلاء معنى التقاوى وذاك من أقبح القبيح . و ـ الشطط ـ الجور ولا يجوز أن ينسب إلى الله تعالى . وأحسن ما حمل عليه حاله أن يكون قال هذا البيت في زمان التغير ، أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا احمد بن على بن خلف نا محمد بن الحسين السلمى سمعت أبا الحسن على بن ابراهيم الحصرى . يقول ، دعونى وبلائى ألستم أولاد آدم الذى خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأمره بأمره فخالفه ، إذا كان أول الدن دردى كيف يكون آخره ، قال وقال الحصرى كنت زماناً إذا قرأت القرآن لا أستعيذ من الشيطان وأقول الشيطان حتى يحضر كلام الحق .

قال المصنف رحمه الله قلت : أما القول الأول بأنه يتسلط على الأنبياء جرأة قبيحة وسوء أدب . وأما الثانى فمخالف لما أمر الله عز وجل به فإنه قال « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله » أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر نا عباد ابن ابراهيم النسفى ثنا محمد بن الحسين السلمى قال وجدت فى كتاب أبي بخطه سمعت أبا العباس احمد بن محمد الدينورى يقول . قد نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامى أحدثوها سموا الطبع زيادة ، وسوء الأدب إخلاصا ، والخروج عن الحق شطحا ، والتلذذ بالمذموم طيبة وسوء الخلق صولة ، والبخل جلادة . واتباع الهوى ابتلاء ، والرجوع إلى الدنيا وصولا والسؤال عملا . وبذأ اللسان ملامة وما هذا طريق القوم . وقال ابن عقيل عبرت الصوفية عن الحرام بعبارات غيروا لها الأسماء مع حصول المعنى فقالوا فى الاجتماع على الطيبة والغناء والخنكرة ، أوقات . وقالوا فى المردان شب وفى المعشوقة أخت . وفى المحبة مريدة وفى الرقص والطرب

وجد ، وفى مناخ الهود والبطالة رباط . وهذا التغيير للاسماء لا يباح .

﴿ بيان جملة مروية على الصوفية من الأفعال المنكرة ﴾

قلت . قد سبق ذكر أفعال كثيرة لهم كلها منكرة وإنما نذكر ههنا من امهات الأفعال وعجائبها . أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد أنبأنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى نا أبو الحسن سهل بن على الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن على السراج . قال ذكر عن أبى الكريتى - وكان أستاذ الجنيد - انه أصابته جنابة . وكان عليه مرقعة ثخينة . فجاء إلى شاطىء الدجلة والبرد شديد فحرنت نفسه عن الدخول فى الماء لشدة البرد فطرح نفسه فى الماء مع المرقعة ولم يزل يغوص ثم خرج . وقال :عقدت أن لا أنزعها عن بدنى حتى تجف علىّ فلم تجف عليه شهراً .

أخبرنا عبدالرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن على بن ثابت ثنا عبدالعزيز ابن على ثنا على بن عبدالله الهمدانى ثنا الخلدى ثنى جنيد قال سمعت أباجعفر ابن الكريتى يقول أصبت ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت فى نفسى تأخراً وتقصيراً وحدثتنى نفسى لو تركت حتى تصبح ويسخن لك الماء . أو تدخل حماماً . والا اعيأ على نفسك . فقلت واعجبا أنا أعامل الله تعالى فى طول عمرى . يجب له على حق لا أجد المسارعة اليه : وأجد الوقوف والتباطؤ والتأخر . آليت لا أغتسل الا فى نهر .وآليت لا أغتسلت الا فى نهر . وآليت لا اغتسلت الا فى مرقعتى هذه . وآليت لا أعصرنها وآليت لاجففنها فى شمس أو كما قال . قلت قدسبق فى ذكر المرقعات وصف هذه المرقعة لابن الكريتى وأنه وزن أحد كميها فكان فيه أحد عشر رطلا وإنما ذكر هذا للناس ليبين أنى فعلت الحسن الجميل . وحكوه عنه ليبين فضله وذلك جهل محض لأن هذا الرجل عصى الله سبحانه وتعالى بما فعل . وإنما يعجب هذا الفعل العوام الحمق لا العلماء . ولا يجوز لأحد أن يعاقب نفسه فقد جمع هذا المسكين لنفسه فنوناً من التعذيب : إلقاؤها فى الماء البارد ، وكونه فى مرقعة لا يمكنه الحركة فيها كما يريد . ولعله قد بقى من مغابنه مالم يصل اليه الماء لكثافة هذه المرقعة ، وبقاءها عليه مبتلة شهراً وذلك يمنعه

لذة النوم . وكل هذا الفعل خطأ واثم وربما كان ذلك سبباً لمرضه أو قتله .

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قال أخبرنا حمد بن احمد بن عبدالله الاصبهانى ، قال : كانت أم على زوجة احمد بن حضرويه قد أحلت زوجها احمد من صداقها على أن يزوربها أبا يزيد البسطامى فحملها اليه فدخلت عليه وقعدت بين يديه مسفرة عن وجهها . فلما قال لها أحمد: رأيت منك عجبا . أسفرت عن وجهك بين يدى أبي يزيد : قالت لأنى لما نظرت اليه فقدت حظوظ نفسى . وكلما نظرت اليك رجعت إلىّ حظوظ نفسى . فلما آراداحمد الخروج من عند أبي يزيد قال له أوصنى . قال تعلم الفتوة من زوجتك .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا بن باكويه سمعت أبا بكر الفازى «وفاز قرية بطرسوس» سمعت أبا بكر السباك سمعت يوسف ابن الحسين يقول : كان بين احمد بن أبي الحوارى وبين أبي سليمان عقد أن لايخالفه فى شيء يؤمره به فجاءه يوماً وهو يتكلم فى المجلس فقال ان التنور قد سجرناه فما تأمرنا فما أجابه فأعاد مرة أو مرتين فقال له فى الثالثة اذهب واقعد فيه ففعل ذلك . فقال أبو سليمان ألحقوه فإن بينى وبينه عقداً أن لايخالفنى فى شيء آمره به فقام وقاموا معه فجاؤا إلى التنور فوجدوه قاعداً فى وسطه فأخذ بيده وأقامه فما أصابه خدش .

قال المصنف رحمه الله :هذه الحكاية بعيدة الصحة ولو صحت كان دخوله النار معصية.وفى الصحيحين من حديث على رضى الله عنه قال بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليها رجلا من الأنصار فلما خرجوا وجد عليهم فى شيء فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعونى قالوا بلى قال فاجمعوا حطباً فجمعوا ثم دعا بنار فأضرمها ثم قال عزمت عليكم لتدخلنها قال فهم القوم ان يدخلوها فقال لهم شاب إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا النبى ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوا فرجعوا إلى النبى ﷺ فاخبروه فقال لهم رسول الله ﷺ «لو دخلتموها ماخرجتم منها أبداً إنما الطاعة فى المعروف» . أخبرنا عبدالرحمن بن محمد القزاز نا احمد ابن على بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ أخبرنى الحسن بن جعفر بن على أخبرنى

عبدالله بن إبراهيم الجزرى قال : قال أبوالخير الديلى كنت جالساً عند خير النساج فأتته امرأة وقالت له اعطيني المنديل الذى دفعته اليك قال نعم فدفعه اليها قالت كم الأجرة قال درهمان قالت ما معى الساعه شيء وأنا قد ترددت اليك مراراً فلم أراك وأنا آتيك به غداً إن شاء الله تعالى فقال لها خير ان أتتيني بهما ولم تجديني فارمى بهما فى دجلة فإنى إذا جئت أخذتهما فقالت المرأة كيف تأخذ من دجلة فقال لها خير هذا التفتيش فضول منك افعلى ما أمرتك. قالت ان شاء الله فرت المرأة قال أبو الحسين فجئت من الغد وكان خير غائباً وإذا المرأة قد جاءت ومعها خرقة فيها درهمان فلم تجده فرمت بالخرقة فى دجلة وإذا بسرطان قد تعلقت بالخرقة وغاصة وبعد ساعة جاء خير وفتح باب حانوته وجلس على الشط يتوضأ وإذا بسرطان قد خرجت من الماء تسعى نحوه والخرقة على ظهرها فلما قربت من الشيخ أخذها . فقلت له رأيت كذا وكذا فقال أحب أن لا تبوح به فى حياتى فأجبته إلى ذلك .

قال المصنف رحمه الله : صحة مثل هذا تبعد ، ولو صح لم يخرج هذا الفعل من مخالفة الشرع لأن الشرع قد أمر بحفظ المال وهذا إضاعة . وفى الصحيح أن النبى ﷺ « نهى عن إضاعة المال » ولا تلتفت إلى قول من يزعم أن هذا كرامة لأن الله عزوجل لايكرم مخالفاً لشرعه .أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبوبكر بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ سمعت أباالفرج الوريانى سمعت على بن عبد الرحيم يقول : دخلت على النورى ذات يوم فرأيت رجليه منتفختين فسألته عن أمره . فقال طالبتنى نفسى بأكل التمر فجعلت أدافعها فتأبى علىَّ فخرجت فاشتريت . فلما ان اكلت قلت لها قومى فصلى فأبت علىَّ فقلت لله على ان قعدت إلى الأرض أربعين يوماً إلا فى التشهد فما قعدت قلت من سمع هذا من الجهال يقول ما أحسن هذه المجاهدة ولا يدرى أن هذا الفعل لا يحل لأنه حمل على النفس ما لا يجوز ومنعها حقها من الراحة وقد حكى أبو حامد الغزالى فى كتاب الاحياء قال كان بعض الشيوخ فى بداية إرادته يكسل عن القيام فالزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع قال وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه فى البحر

إذا خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل : قال وكان بعضهم يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس لعود نفسه الحلم قال وكان آخر يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعاً .

قال المصنف رحمه الله : أعجب من جميع هؤلاء عندى أبو حامد كيف حكى هذه الأشياء ولم ينكرها . وكيف ينكرها وقد أتى بها فى معرض التعليم وقال قبل أن يورد هذه الحكايات : ينبغي للشيخ أن ينظر إلى حالة المبتدىء فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر حاجته أخذه وصرفه فى الخير وفرغ قلبه منه حتى لايلتفت اليه . وان رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره أن يخرج إلى السوق للكد ويكلفه السؤال والمواظبه على ذلك . وان رأى الغالب عليه البطالة استخدمه فى بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة و ملازمة المطبخ ومواضع الدخان، وان رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم .وان رآه عزبا ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره إن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأساً .

قلت : وأنى لأتعجب من أبي حامد كيف يأمر بهذه الأشياء التى تخالف الشريعة وكيف يحل القيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم إلى وجهه ويورثه ذلك مرضاً شديداً وكيف يحل رمى المال فى البحر. وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال . وهل يحل سب مسلم بلا سبب .وهل يجوز للمسلم أن يستاجر على ذلك وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه وذلك زمان قد سقط فيه الخطاب بأداء الحج . وكيف يحل السؤال لمن يقدر أن يكتسب. فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالى الفقه بالتصوف .

أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى نا أبو على عبد الله بن ابراهيم النيسابورى ثنا أبو الحسن على بن جهضم ثنا أبو صالح الدامغانى عن الحسن ابن على الدامغانى . قال :كان رجل من أهل بسطام لاينقطع عن مجلس أبي يزيد لايفارقه .فقال له ذات يوم . ياأستاذ.أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ولست أجد فى قلبي من هذا الذى تذكره شيئا البتة . فقال له أبو يزيد لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ثلاثمائة سنة وأنت على

ما أراك لا تجد من هذا العلم ذرة . قال ولم يا استاذ . قال: لأنك محجوب بنفسك فقال له: أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب قال: نعم ولكنك لم تقبل قال: بلى أقبل واعمل ما تقول؟ قال أبو يزيد أذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع عنك هذا اللباس وابرز بعباءة وعلق فى عنقك مخلاة واملأها جوزاً واجمع حولك صبياناً وقل باعلا صوتك ياصبيان.من يصفعنى صفعة أعطيته جوزة وادخل إلى سوقك الذى تعظم فيه . فقال يا أبا يزيد سبحان الله تقول لى مثل هذا ويحسن أن أفعل هذا فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك . قال وكيف قال لأنك عظمت نفسك فسبحتها . فقال يا أبا يزيد هذا ليس أقدر عليه ولا أفعله ولكن دلنى على غيره حتى أفعله . فقال أبو يزيد ابتدر هذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك أعرفك ما يصلح لك قال : لا أطيق هذا . قال . انك لا تقبل .

قال المصنف رحمه الله قلت . ليس فى شرعنا بحمد الله من هذا شيء بل فيه تحريم ذلك والمنع منه وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام « ليس للمؤمن أن يذل نفسه » ولقد فاتت الجمعة حذيفة فرأى الناس راجعين فاستتر لئلا يرى بعين النقص فى قصة الصلاة . وهل طالب الشرع أحداً بمحو أثر النفس وقد قال ﷺ « من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله » كل هذا للابقاء على جاه النفس . ولو أمر بهلول الصبيان أن يصفعوه لكان قبيحاً فنعوذ بالله من هذه العقول الناقصة التى تطالب المبتدىء بما لا يرضاه الشرع فينفر .

وقد حكى أبو حامد الغزالى فى كتاب الأحياء عن يحيى بن معاذ انه قال قلت لأبى يزيد هل سألت الله تعالى المعرفة يقال عزت عليه أن يعرفها سواه. فقلت هذا إقرار بالجهل فإن كان يشير إلى معرفه الله تعالى فى الجملة وأنه موجود وموصوف بصفات وهذا لا يسمع أحداً من المسلمين جهله وان تخايل له أن معرفته هى اطلاع على حقيقة ذاته وكنهها فهذا جهل به .

وحكى أبو حامد : أن ابا تراب النخشبى قال لمريد له . لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة ، قلت . وهذا فوق الجنون بدرجات .

وحكى أبو حامد الغزالي عن ابن الكريني انه قال نزلت فى محلة فعرفت فيها بالصلاح فنشب فى قلبي فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي وخرجت فجعلت أمشي قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي . قال أبو حامد . فهكذا كانوا يرضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس وأرباب الأحوال ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتى به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا فى الحمام. قلت سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الاحياء فليته لم يحك فيه مثل هذا الذى لايحل: والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ويسمي أصحابه أرباب أحوال وأى حالة أقبح وأشد من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة فى النهى عنه وكيف يجوز ان يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصى وقد عدم فى الشريعة مايصلح به قلبه حتى يستعمل مالا يحل فيها وهذا من جنس ما تفعله الامراء الجهلة من قطع من لا يجب قطعه وقتل من لا يجوز قتله ويسمونه سياسة ومضمون ذلك الشريعة ماتفى بالسياسة . وكيف يحل للمسلم أن يعرض نفسه لأن يقال عنه سارق وهل يجوز أن يقصد وهن دينه ومحو ذلك عند شهداء الله فى الأرض ولو أن رجلا وقف مع امرأته فى طريق يكلمها ويلمسها ليقول عنه من لايعلم هذا فاسق لكان عاصياً بذلك، ثم كيف يجوز التصرف فى مال الغير بغير إذنه . ثم فى نص مذهب احمد والشافعي أن من سرق من الحمام ثياباً عليها حافظ وجب قطع يده ثم من أرباب الأحوال حتى يعملوا بواقعاتهم كلا والله إن لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه . فعجبي من هذا الفقيه المستلب عن الفقه بالتصوف أكثر من تعجبي من هذا المستلب الثياب .

أخبرنا أبوبكر بن حبيب نا أبوسعد بن أبي صادق نا بن باكويه قال: سمعت محمد بن احمد النجاري يقول . كان علي بن بابويه من الصوفية فاشترى

يوماً من الأيام قطعة لحم فأحب أن يحمله إلى البيت فاستحيا من أهل السوق فعلق اللحم فى عنقه وحمله إلى بيته .

قلت : وا[illegible] من قوم طالبوا أنفسهم بمحو أثر الطبع وذلك أمر لا يمكن ولا هو مراد الشرع . وقد ركز فى الطباع إن الإنسان لا يحب أن يرى إلا متجملا فى ثيابه وأنه يستحي من العري وكشف الرأس . والشرع لا ينكر عليه هذا . وما فعله هذا الرجل من الإهانة لنفسه بين الناس أمر قبيح فى الشرع والعقل فهو إسقاط مروءة لا رياضة كما لو حمل نعليه على رأسه.

وقد جاء فى الحديث «الأكل فى السوق دناءة» فان الله قد أكرم الآدمى وجعل لكثير من الناس من يخدمه . فليس من الدين إذلال الرجل نفسه بين الناس . وقد تسمى قوم من الصوفية بالملامتية فاقتحموا الذنوب فقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من آفات الجاه والمرائين. وهؤلاء مثلهم كمثل رجل زنى بامرأة فأحبلها . فقيل له : لم تعزل . فقال بلغنى أن العزل مكروه. فقيل له: وما بلغك أن الزنا حرام. وهؤلاء الجهلة قد أسقطوا جاههم عند الله سبحانه ونسوا أن المسلمين شهداء الله فى الأرض . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا بن باكويه قال سمعت أبا احمد الصغير سمعت أبا عبد الله بن خفيف سمعت أبا الحسن المديني . يقول خرجت مرة من بغداد إلى نهر الناشرية وكان فى إحدى قرى ذلك النهر رجل يميل إلى أصحابنا فبينا أنا أمشي على شاطيء النهر رأيت مرقعة مطروحة ونعلا وخريقة فجمعتها وقلت هذه لفقير . ومشيت قليلا فسمعت همهمة وتخبيطاً فى الماء . فنظرت فإذا بأبي الحسن النوري قد ألقى نفسه فى الماء والطين وهو يتخبط ويعمل بنفسه كل بلاء ، فلما رأيته علمت أن الثياب له فنزلت اليه فنظر إلى ، وقال يا ابا الحسن أما ترى ما يعمل بي . قد أماتني موتات وقال لى مالك منا الا الذكر الذى لسائر الناس. وأخذ يبكي ويقول ترى مايفعل بي. فمازلت أرفق به حتى غسلته من الطين وألبسته المرقعة وحملته إلى دار ذلك الرجل . فأقمنا عنده إلى العصر ثم خرجنا إلى المسجد فلما كان وقت المغرب رأيت الناس يهربون ويغلقون الأبواب ويصعدون السطوح فسألناهم فقالوا : السباع

تدخل القرية بالليل . وكان حوالى القرية أجمة عظيمة وقد قطع منها القصب وبقيت أصوله كالسكاكين . فلما سمع النورى هذا الحديث قام فرمى بنفسه فى الأجمة على أصول القصب المقطوع ويصيح ويقول . أين أنت ياسبع . فما شككنا أن الأسد قد افترسه أو قد هلك فى أصول القصب . فلما كان قريب الصبح .جاء فطرح نفسه وقدهلكت رجلاه فأخذنا بالمنقاش ماقدرنا عليه فبقى أربعين يوماً لا يمشي على رجليه . فسألته أى شيء كان ذلك الحال. قال : لماذكروا السبع وجدت فى نفسى فزعاً فقلت لأطرحنك إلى ماتفزعين منه .

قلت : لا يخفى على عاقل تخبيط هذا الرجل قبل أن يقع فى الماء والطين. وكيف يجوز للانسان أن يلقى نفسه فى ماء وطين وهل هذا إلا فعل المجانين وأين الهيبة والتعظيم من قوله : ترى ما يفعل بى وما وجه هذا الانبساط وينبغى أن تجف الألسن فى أفواهها هيبة . ثم ماالذى يريده غير الذكر ولقد خرج عن الشريعة بخروجه إلى السبع ومشيه على القصب المقطوع . وهل يجوز فى الشرع أن يلقى الإنسان نفسه إلى سبع . أترى أراد منها أن يغير ما طبعت عليه من خوف السباع ليس هذا فى طوقها ولاطلبه الشرع منها . ولقد سمع هذا الرجل بعض أصحابه يقول مثل هذا القول فأجابه بأجود جواب . أخبرنا محمد بن عبد الله بن حبيب نا على بن أبى صادق نا ابن باكويه نا يعقوب الخواط نا ابواحمد المغازى قال : رأيت النورى وقد جعل نفسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وهو يقول : من الخلق أوحشتنى ، ومن النفس والمال والدنيا افقرتنى . ويقول ما معك إلا علم وذكر قال فقلت له إن رضيت وإلا فانطح برأسك الحائط . أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب نا عبدالله بن على السراج قال سمعت أبا عمرو بن علوان يقول حمل أبو الحسين النورى ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له : وجلس على قنطرة وجعل يرمى واحداً واحدا منها إلى الماء ويقول .حبتى ـ تريدى أن تخدعينى منك بمثل هذا . قال السراج . فقال بعض الناس لو نفقها فى سبيل الله كان خيراً له.فقلت . إن كانت تلك الدنانير تشغله عن الله طرفة عين كان الواجب

أن يرميها فى الماء دفعة واحدة حتى يكون أسرع لخلاصه من فتنتها كما قال الله عز وجل (فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ [1]) قلت : لقد أبان هؤلاء القوم عن جهل بالشرع وعدم عقل . وقد بينا فيما تقدم أن الشرع أمر بحفظ المال وأن لا يسلم إلا الى رشيد ، وجعله قواماً للآدمى ، والعقل يشهد بأنه إنما خلق للمصالح : فاذا رمى به الانسان فقد أفسد ما هو سبب صلاحه وجهل حكمة الواضع ، واعتذار السراج له أقبح من فعله . لأنه أن كان خاف فتنته فينبغى أن يرميه الى فقير ويتخلص ، ومن جهل هؤلاء حملهم تفسير القرآن على رأيهم الفاسد لأنه يحتج بمسح السوق والأعناق ، ويظن بذلك جواز الفساد والفساد لايجوز فى شريعة ، وإنما مسح بيده عليها وقال أنت فى سبيل الله وقد مبق بيان هذا ، وقال أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال أبو جعفر الدراج ، خرج أستاذى يوماً يتطهر فأخذت كنفه ففتشته فوجدت فيه شيئاً من الفضة مقدار أربعة دراهم وكان ليلا وبات لم يأكل شيئاً . فلما رجع قلت له ، فى كتفك كذا وكذا درهما ونحن جياع ، فقال أخذته ؟ رده ، ثم قال لى بعد ذلك : خذه واشتر به شيئاً ، فقلت له ، بحق معبودك ما أمر هذه القطع فقال : لم يرزقنى الله من الدنيا شيئاً غيرها فأردت أن أوصى أن تدفن معى فاذا كان يوم القيامة رددتها الى الله وأقول هذا الذى أعطيتنى من الدنيا . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا عبدالواحد بن بكر قال سمعت أبا بكر الجوال سمعت أبا عبدالله الحصرى يقول ، مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشائين فيتصدق من الأبواب ما يفطر عليه .

قال المصنف رحمه الله قلت : لو علم هذا الرجل أن المسألة لا تجوز لمن يقدر على الاكتساب لم يفعل ، ولو قدرنا جوازها ، فأين أنفة النفس من ذل الطلب ، أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التميمى نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل ثنى أبى ثنا إسماعيل ثنا معمر عن عبدالله بن مسلم أخى الزهرى عن حمزة بن عبدالله بن عمر عن أبيه . قال قال رسول الله ﷺ . لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله عز وجل وما على وجهه

(١) سورة ص اية ٣٣ .

مزعة لحم . قال احمد وحدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن الزبير بن العوام قال : قال رسول الله ﷺ لأن يأخذ الرجل حبلا فيحتطب ثم يجيء فيضعه في السوق فيبيعه ثم يستغني به فينفقه على نفسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعو

قلت : انفرد به البخاري واتفقا على الذي قبله ، وفي حديث عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ انه قال : لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى — والمرة — القوة ، وأصلها من شدة فتل الحبل يقال أمررت الحبل اذا أحكمت فتله . فمعنى المرة في الحديث شدة أمر الخلق وصحة البدن التي يكون معها احتمال الكل والتعب . قال الشافعي رضي الله عنه : لا تحل الصدقة لمن يجد قوة يقدر بها على الكسب . أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر ابن ثابت أنبأنا أبو سعد الماليني قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الواحد الهاشمي سمعت أبا الحسن يونس بن أبي بكر الشبلي يقول قام أبي ليلة فترك فرد رجل على السطح والأخرى على الدار . فسمعته يقول لئن أطرفت لأرمين بك إلى الدار فما زال على تلك الحال حتى أصبح فلما أصبح قال لي : يا بني ما سمعت الليلة ذاكراً لله عز وجل إلا ديكا يساوي دانقين .

قال المصنف رحمه الله : هذا الرجل قد جمع بين شيئين لا يجوزان . أحدهما : مخاطرته بنفسه فلو غلبه النوم فوقع كان معيناً على نفسه ولاشك انه لو رمى بنفسه كان قد أتى معصية عظيمة فتعرضه للوقوع معصية ، والثاني . انه منع عينه حظها من النوم . وقد قال ﷺ ان لجسدك عليك حقاً وان لزوجتك عليك حقاً . وان لعينك عليك حقاً وقال : اذا نعس أحدكم فليرقد . ومر بحبل قد مدته زينب فاذا فترت أمسكت به فأمر بحله . وقال ليصل أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر فليقعد وقد تقدمت هذه الأحاديث في كتابنا هذا . أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو عبدالله الحميدي نا أبو بكر الأردستاني ثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا العباس البغدادي يقول : كنا نصحب أبا الحسن بن أبي بكر الشبلي ونحن أحداث ، فأضافنا ليلة فقلنا بشرط أن لاتدخل علينا أباك ، فقال لايدخل . فدخلنا داره فلما أكلنا اذا نحن بالشبلي وبين كل

أصبعين من أصابعه شمعة ـ ثمان شموع ـ فجاء وقعد وسطنا فاحتشمنا منه، فقال يا سادة عدونى فيما بينكم طشت شموع ، ثم قال أين غلامى أبو العباس فتقدم اليه فقال غنى الصوت الذى كنت تغنى :

ولما بلغ الحيرة حادى جملى حارا
فقلت احطط بهارحلى ولا تحفل بمن سارا (١)

فغنيته فتغير وألقى الشموع من يده وخرج . أخبرنا ابن ناصر ثنا هبة الله ابن عبد الله الواسطى نا أبو بكر احمد بن على الحافظ نا محمد بن احمد بن أبى الفوارس نا الحسين بن احمد بن عبد الرحمن الصفار قال خرج الشبلى يوم عيد وقد حلق اشفار عينيه وحاجبيه وتعصب بعصابة وهو يقول :

الناس فطر وعيد انى فريد وحيد

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا احمد بن على بن ثابت نا التنوخى نا أبو الحسن على بن محمد بن أبى سابر الدلال قال : وقفت على الشبلى فى قبة الشعراء فى جامع المنصور والناس مجتمعون عليه فوقف عليه فى الحلقة غلام جميل لم يكن ببغداد فى ذلك الوقت أحسن وجها منه يعرف بابن مسلم فقال له : تنح فلم يبرح فقال له الثانية تنح يا شيطان عنا فلم يبرح فقال له فى الثالثة تنح وإلا والله خرقت كل ما عليك وكانت عليه ثياب فى غاية الحسن تساوى جملة كثيرة فانصرف الفتى فقال الشبلى :

طرحوا اللحم للبزا ة على ذروتى عدن
ثم لاموا البزاة إذ خلعوا منهم الرسن
لو أرادوا صلاحنا ستروا وجهك الحسن

قال ابن عقيل من قال هذا فقد أخطأ طريق الشرع . لأنه يقول ما خلق الله عز وجل هذا الانسان إلا للافتتان به . وليس كذلك وإنما خلقه للاعتبار والامتحان فان الشمس خلقت لتضىء لا لتعبد . وباسناد عن احمد بن محمد النهاوندى يقول مات للشبلى ابن ولد كان اسمه علياً فجزّت أمه شعرها عليه،

---

(١) كذا فى النسخة وسقطت هذه الحكاية وما بعدها فى النسخة الثانية

وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلقها جميعها فقيل له : يا أستاذ ما حملك على هذا فقال . جزت هذه شعرها على مفقود ، ألا أحلق أنا لحيتي على موجود .
وباسناد عن عبدالله بن على السراج قال : ربما كان الشبلي يلبس ثياباً مثمنة ثم ينزعها ويضعها فوق النار ، قال : وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار يبخر بها ذنب الحمار وقال بعضهم : دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكر يحرقه بالنار قال السراج : إنما أحرقه بالنار لأنه كان يشغله عن ذكر الله قلت : اعتذار السراج عنه أعجب من فعله ، قال السراج وحكى عنه أنه باع عقاراً ففرق ثمنه وكان له عيال فلم يدفع اليهم شيئاً ، وسمع قارئاً يقرأ « اخسئوا فيها » ، فقال ليتني كنت واحداً منهم ، قلت وهذا الرجل ظن ان الذى يكلمهم هو الله تعالى والله لا يكلمهم ثم لو كلمهم كلام إهانة فأى شيء هذا حتى يطلب ، قال السراج ، وقال الشبلي يوماً فى مجلسه إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفؤها ، قلت ، وهذا من جنس ما ذكرناه عن أبى يزيد وكلاهما من إناء واحد . وباسناد عن أبى على الدقاق يقول : بلغنى أن الشبلي اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم .
قال المصنف رحمه الله : وهذا فعل قبيح لا يحل لمسلم أن يؤذى نفسه وهو سبب للعمى ولا تجوز إدامة السهر لأن فيه إسقاط حق النفس والظاهر أن دوام السهر والتقلل من الطعام أخرجه إلى هذه الأحوال والأفعال .
وباسناد عن أبى عبد الله الرازى قال ، كسانى رجل صوفاً فرأيت على رأس الشبلي قلنوسة تليق بذلك الصوف فتمنيتها فى نفسى ، فلما قام الشبلي من مجلسه التفت إلىّ فتبعته ، وكان عادته إذا أراد أن أتبعه يلتفت إلىّ فلما دخل داره فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنوسة عليه ودعى بنار فأحرقهما ، قلت ، وقد حكى أبو حامد الغزالى أن الشبلي أخذ خمسين ديناراً فرماها فى دجلة وقال ، ما أعزك أحد إلا أذاله الله ، وأنا أتعجب من أبى حامد أكثر من تعجبى من الشبلي لأنه ذكر ذلك على وجه المدح لا على وجه الإنكار فأين أثر الفقه . وباسناد عن حسين بن عبد الله القزوينى قال . حدثنى من كان مجالسا لبنان أنه قال : تعذر على قوتى يوماً ولحقنى ضرورة فرأيت قطعة

ذهب مطرحة فى الطريق فأردت أخذها فقلت لقطة فتركتها ، ثم ذكرت الحديث الذى يروى « لو أن الدنيا كانت دماً عبيطاً لكان قوت المسلم منها حلالا » فأخذتها وتركتها فى فمى ومشيت غير بعيد فإذا أنا بحلقة فيها صبيان وأحدهم يتكلم عليهم ، فقال له واحد ، متى يجد العبد حقيقة الصدق ، فقال إذا رمى القطعة من الشدق فأخرجتها من فمى ورميتها .

قال المصنف رحمه الله: لاتختلف الفقهاء ان رميه إياها لايجوز، والعجب انه رماها بقول صبى لايدرى ماقال ، وقد حكى أبو حامد الغزالى أن شقيقا البلخى جاء إلى أبو القاسم الزاهد وفى طرف كسائه شيء مصرور فقال له أى شيء معك قال لوزات دفعها إلى أخ لى وقال أحب أن تفطر عليها فقال ياشقيق وأنت تحدث نفسك أن تبقى إلى الليل لا كلمتك أبداً فاغلق الباب فى وجهى ودخل .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إلى هذا الفقه الدقيق كيف هجر مسلماً على فعل جائز بل مندوب لأن الإنسان مأمور أن يستعد لنفسه بما يفطر عليه واستعداد الشيء قبل مجيء وقته حزم ولذلك قال الله عز وجل (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ [1]) وقد أدخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله وأدخر الباقى ولم ينكر عليه فالجهل بالعلم أفسد هؤلاء الزهاد. وباسناد أحمد بن إسحاق العمانى قال رأيت بالهند شيخاً وكان يعرف بالصابر قد أتى عليه مائة سنة قد غمض إحدى عينيه فقلت له ياصابر مابلغ من صبرك قال إنى هويت النظر إلى زينة الدنيا فلم أحب أن أشتفى منها فغمضت عينى منذ ثمانين سنة فلم أفتحها ، وقد حكى لنا عن آخر ، انه قير أحدعينيه وقال النظر إلى الدنيا بعينين إسراف قلت كان قصده أن ينظر إلى الدنيا بفرد عين ونحن نسأل الله سلامة العقول . وقد حكى يوسف بن أيوب الهمدانى عن شيخه عبد الله الجونى انه كان يقول هذه الدولة ما أخرجتها من المحراب بل من موضع الخلاء وقال كنت أخدم فى الخلاء فبينما أنا يوما أكنسه وأنظفه قالت لى نفسى أذهبت عمرك فى هذا فقلت انت تأنفين من خدمة عباد الله فوسعت رأس البئر ورميت نفسى

---

(١) سورة الانفال اية ٦٠ .

فيها وجعلت أدخل النجاسة فى فى، فجاؤا وأخرجونى وغسلونى قلت أنظروا إلى هذا المسكين كيف اعتقد جمع الأصحاب خلفه دولة واعتقد أن تلك الدولة انما حصلت بالقاء نفسه فى النجاسة وإدخالها فى فيه وقد نال بذلك فضيلة أثيب عليها بكثرة الأصحاب وهذ الذى فعله معصية توجب العقوبة ، وفى الجملة لما فقد هؤلاء العلم كثر تخبيطهم . وباسناد عن محمد بن على الكتانى يقول دخل الحسين بن منصور مكة فى ابتداء أمره فجهدنا حتى أخذنا مرقعته قال السوسى أخذنا منها قملة فوزناها فإذا فيها نصف دانق من كثرة رياضته وشدة مجاهدته قلت أنظروا إلى هذا الجاهل بالنظافة التى حث عليها الشرع وأباح حلق الشعر المحظور على المحرم لاجل تأذيه من القمل وجبر الحظر بالفدية وأجهل من هذا من أعتقد هذا رياضته .

وباسناد عن أبى عبدالله بن ملقح يقول كان عندنا فقير صوفى فى الجامع فجاع مره جوعاً شديداً فقال يارب إما أن تطعمنى إما أن ترمينى بشرف المسجد فجاء غراب فجلس على الشرف فوقعت عيه من تحت رجله آجرة فجرى دمه وكان يمسح الدم ، ويقول ، إيش تبالى بقتل العالم ، قلت ، قتل الله هذا ولا أحياه فى مقابلته هذا الاستنباط ، هلا قام إلى الكسب أو إلى الكدية . وباسناد عن غلام خليل قال : رأيت فقيراً يعدو ويلتفت ويقول ! أشهدكم على الله هوذا يقتلنى ، وسقط ميتاً .

(فصل) وفى الصوفية قوم يسمون الملانفية اقتحموا الذنوب وقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع قال وفى القوم طائفة يظهرون من أنفسهم أقبح ما هم فيه ويكتمون أحسن ما هم عليه وفعلهم هذا من أقبح الأشياء ولقد قال رسول الله ﷺ : من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله . وقال فى حق ماعز هلا سترته بثوبك ياهذا ، واجتاز على رسول الله ﷺ بعض الصحابة وهو يتكلم مع صفية زوجته فقال له أنها صفية وقد علم الناس التجافى عن ما يوجب سوء الظن فان المؤمنين شهداء الله فى الأرض وخرج حذيفة إلى الجمعة ففاتته فرأى الناس وهم راجعون فاستتر لئلا يسوء ظن

الناس به وقد قدمنا هـذه . وقال أبو بكر الصديق لرجل قال له إنى لمست امرأة وقبلتها ، فقال تب إلى الله ولا تحدث أحداً بذلك وجاء رجل إلى النبي ﷺ وقال إنى أتيت من أجنبية ما دون الزنا يا رسول الله قال : ألم تصل معنا قال بلى يا رسول الله قال ألم تعلم أن الصلاتين تكفر ما بينهما وقال رجل لبعض الصحابة إنى فعلت كذا وكذا من الذنوب فقال لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك ، فهؤلاء قد خالفوا الشريعة وأرادوا قطع ما جبلت عليه النفوس .

﴿فصل﴾ وقد اندس فى الصوفية أهل الإباحة فتشبهوا بهم حفظاً لدمائهم وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول ، كفار فمنهم قوم لا يقرون بالله سبحانه وتعالى ومنهم من يقر به ولكن يجحد النبوة ويرى أن ما جاء به الأنبياء محال وهؤلاء لما أرادوا أمراح أنفسهم فى شهواتها لم يجدوا شيئا يحقنون به دماءهم ويستترون به وينالون فيه أغراض النفوس ، كمذهب التصوف فدخلوا فيه ظاهراً وهم فى الباطن كفرة وليس لهؤلاء إلا السيف لعنهم الله ، والقسم الثانى قوم يقرون بالإسلام إلا أنهم ينقسمون قسمين : القسم الأول يقلدون فى أفعالهم لشيوخهم من غير اتباع دليل ولا شبهة فهم يفعلون ما يأمرونهم به وما رأوهم عليه ، القسم الثالث قوم عرضت لهم شبهات فعملوا بمقتضاها . والأصل الذى نشأت منه شبهاتهم أنهم لما هموا بالنظر فى مذاهب الناس لبس عليهم إبليس فأراهم أن الشبهة تعارض الحجج وأن التمييز يعسر وأن المقصود أجل من أن ينال بالعلم وإنما الظفر به رزق يساق إلى العبد لا بالطلب فسد عليهم باب النجاة الذى هو طلب العلم فصاروا يبغضون إسم العلم كما يبغض الرافضى اسم أبى بكر وعمر ويقولون العلم حجاب والعلماء محجوبون عن المقصود بالعلم فان أنكر عليهم عالم قالوا لأتباعهم هذا موافق لنا فى الباطن وإنما يظهر ضد ما نحن فيه للعوام الضعاف العقول فان جد فى خلافهم قالوا : هذا أبله مقيد بقيود الشريعة محجوب عن المقصود ، ثم عملوا على شبهات وقعت لهم ولو فطنوا لعلموا أن عملهم بمقتضى شبهاتهم

علم ، فقد بطل إنكارهم العلم ، وأنا أذكر شبهاتهم وأكشفها إن شاء الله تعالى وهى ست شبهات :

الشبهة الأولى — انهم قالوا إذا كانت الأمور مقدرة فى القدم وأن أقواما خصوا بالسعادة ، وأقواما بالشقاوة ، والسعيد لا يشقى ، والشقى لا يسعد ، والأعمال لا تراد لذاتها بل لاجتلاب السعادة ودفع الشقاوة . وقد سبقنا وجود الأعمال فلا وجه لاتعاب النفس فى عمل ولا نكفها عن ملذوذ لأن المكتوب فى القدر واقع لا محالة .

والجواب عن هذه الشبهة ، أن يقال لهم هذا رد لجميع الشرائع وابطال لجميع أحكام الكتب وتبكيت للأنبياء كلهم فيما جاءوا به لأنه إذا قال فى القرآن ان أقيموا الصلاة قال القائل لماذا ان كنت سعيداً فصيرى الى السعادة وان كنت شقياً فصيرى الى الشقاوة فما تنفعنى إقامة الصلاة وكذلك اذا قال ولا تقربوا الزنا يقول القائل لماذا أمنع نفسى ملذوذها والسعادة والشقاوة مقضيتان قد فرغ منهما ، وكان لفرعون أن يقول لموسى حين قال له (هل لك الى أن تزكى) مثل هذا الكلام ثم يترقى الى الخالق فيقول ، ما فائدة ارسالك الرسل وسيجرى ما قدرته . وما يفضى الى رد الكتب وتجهيل الرسل محال باطل ، ولهذا كان رد الرسول ﷺ على أصحابه حين قالوا ألا نتكل، فقال (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) واعلم ان للآدمى كسباً هو اختياره فعليه يقع الثواب والعقاب فاذا خالف تبين لنا ان الله عز وجل قضى فى السابق بأن يخالفه وإنما يعاقبه على خلافه لا على قضائه . ولهذا يقتل القاتل ولا يعتذر له بالقدر ، وإنما ردهم الرسول عن ملاحظة القدر الى العمل لأن الأمر والنهى حال ظاهر والمقدر من ذلك أمر باطن وليس لنا أن نترك ما عرفناه من تكليف ما لا نعلمه من المقضى وقول « فكل ميسر لما خلق له » إشارة إلى أسباب القدر ، فانه من قضى له بالعلم يسر له طلبه وحبه وفهمه ، ومن حكم له بالجهل نزع حب العلم من قلبه ، وكذلك من قضى له بولد يسر له النكاح ، ومن لم يقض له بولد لم ييسر له .

الشبهة الثانية : أنهم قالوا إن الله عز وجل مستغن عن أعمالنا غير متأثر بها معصية كانت أو طاعة فلا ينبغي أن نتعب أنفسنا فى غير فائدة .

ـ وجواب هذه الشبهة أن نجيب أولاً ـ بالجواب الأول ، ونقول هذا رد على الشرع فيما أمر به فكأنا قلنا للرسول وللرسل لا فائدة فيما أمرتنا به ثم نتكلم عن الشبهة فنقول من يتوهم أن الله جل وعلا ينتفع بطاعة أو يتضرر بمعصية أو ينال بذلك غرضاً فما عرف الله جـلا جلاله لأنه مقدس عن الاعراض والاغراض ومن انتفاع أو ضرر وإنما نفع الأعمال تعود على أنفسنا كما قال عز وجل (وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ[1] وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ) وإنما يأمر الطبيب المريض بالحمية لمصلحة المريض لا لمصلحة الطبيب وكما أن للبدن مصالح من الأغذية ومضار فللنفس مصالح من العلم والجهل والاعتقاد والعمل فالشرع كالطبيب فهو أعرف بما يأمر به من المصالح ، هـذا مذهب من علل وأكثر العلمـاء قالوا أفعاله لا تعلل . وجواب آخر ، وهو انه إذا كان غنياً عن أعمالنا كان غنياً عن معرفتنا له وقد أوجب علينا معرفته ، فكذلك أوجب طاعته ، فينبغي أن تنظر إلى أمره لا إلى الغرض بأمره[2] .

الشبهة الثالثة ، قالوا قد ثبت سعة رحمة الله سبحانه وتعالى وهى لا تعجز عنا فلا وجه لحرمان نفوسنا مرادها .

فالجواب كالجواب الأول ، لأن هـذا القول يتضمن إطراح ما جاء به الرسل من الوعيـد وتهوين ما شددت فى التحذير منه فى ذلك وبالغت فى ذكر عقابه ومما يكشف التلبيس فى هذا ان الله عز وجل كما وصف نفسه بالرحمة وصفها بشديد العقاب ونحن نرى الأولياء والأنبياء يبتلون بالأمراض والجوع ويأخـذون بالزلل وكيف وقد خافه من قطع له بالنجاة ، فالخليل يقول يوم القيامة نفسى نفسى ، والكليم يقول نفسى نفسى ، وهذا عمر رضى الله عنه يقول الويل لعمر ان لم يغفر له واعلم أن من رجا الرحمة تعرض لأسبابها فمن أسبابها التوبة من الزلل كما أن من رجا أن يحصد زرع ، وقد قال الله عز وجل ، (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ

(١) سورة العنكبوت اية ٦ .
(٢) الجواب الأخير لم يرد فى النسخة الثانية .

﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾(١) يعنى أن الرجاء بهؤلاء يليق وأما المصرون على الذنوب وهم يرجون الرحمة فرجاؤهم بعيد، وقد قال عليه الصلاة والسلام «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» وقد قال معروف الكرخي رجاؤك لرحمة من لاتطيعه خذلان وحمق. واعلم أنه ليس فى الأفعال التى تصدر من الحق سبحانه وتعالى مايوجب أن يؤمن عقابه إنما فى أفعاله ما يمنع اليأس من رحمته وكما لا يحسن اليأس لما يظهر من لطفه فى خلقه لا يحسن الطمع لما يبدو من أخذانه وانتقامه فان من قطع أشرف عضو بربع دينار لا يؤمن أن يكون عقابه غداً هكذا.

﴿الشبهة الرابعة﴾ ان قوما منهم وقع لهم ان المراد رياضة النفوس لتخلص من أكدارها المردية فلما راضوها مدة ورأوا تعذر الصفاء قالوا مالنا تتعب أنفسنا فى أمر لايحصل لبشر فتركوا العمل. وكشف هذا التلبيس انهم ظنوا أن المراد قمع ما فى البواطن من الصفات البشرية مثل قمع الشهوة والغضب وغير ذلك، وليس هذا مراد الشرع ولا يتصور إزالة ما فى الطبع بالرياضة وإنما خلقت الشهوات لفائدة إذ لولا شهوة الطعام هلك الانسان، ولولا شهوة النكاح انقطع النسل. ولولا الغضب لم يدفع الانسان عن نفسه ما يؤذيه وكذلك حب المال مركور فى الطباع لأنه يوصل الى الشهوات، وإنما المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذى من جميع ذلك وردها إلى الاعتدال فيه، وقد مدح الله عز وجل من نهى النفس عن الهوى وإنما تنتهى عما تطلبه ولو كان طلبه قد زال عن طبعها ما احتاج الانسان إلى نهيها، وقد قال الله عز وجل ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾(٢) وما قال والفاقدين الغيظ، والكظم رد الغيظ يقال كظم البعير على جرته اذا ردها فى حلقه فمدح من رد النفس عن العمل بمقتضى هيجان الغيظ فمن ادعى أن الرياضة تغير الطباع ادعى المحال وإنما المقصود بالرياضة كسر شرة شهوة النفس والغضب لا إزالة أصلها والمرتاض كالطبيب العاقل عند حضور الطعام يتناول ما يصلحه ويكف عما يؤذيه وعادم الرياضة كالصبي الجاهل يأكل ما يشتهى ولا يبالى بما جنى.

﴿الشبهة الخامسة﴾ أن قوما منهم داموا على الرياضة مدة فرأوا أنهم

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٨.

(٢) سورة ال عمران أية ١٣٤.

قد تجوهروا فقالوا لا نبالى الآن ما عملنا وإنما الأوامر والنواهى رسوم للعوام ولو تجوهروا لسقطت عنهم قالوا وحاصل النبوة ترجع الى الحكمة والمصلحة ، والمراد منها ضبط العوام ولسنا من العوام فندخل فى حجر التكليف لأنا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة وهؤلاء قد رأوا ان من أثر جوهرهم ارتفاع الحمية عنهم حتىانهم قالوا أن رتبة الكمال لا تحصل إلا لمن رأى أهله مع أجنبي فلم يقشعر جلده فان أقشعر جلده فهو ملتفت الى حظ نفسه ولم يكمل بعد إذ لو كمل لماتت نفسه فسموا الغيرة نفساً وسموا ذهاب الحمية الذى هو وصف المخانيث كمال الإيمان . وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه إلى الريوندية كانوا يستحلون المحرمات فيدعو الرجل منهم الجماعة الى بيته فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته .

وكشف هذه الشبهة انه مادامت الأشباح قائمة فلا سبيل الى ترك الرسوم لظاهرة من التعبد فان هذه الرسوم وضعت لمصالح الناس، وقد يغلب صفاء القلب على كدر الطبع إلا أن الكدر يرسب مع الدوام على الخير ويركد فأقل شيء يحركه كالمدرة تقع فى الماء الذى تحته حمأة وما مثل هذا الطبع إلا كالماء يجرى بسفينة النفس والعقل مداد ولو أن المداد مد عشرين فرسخاً ثم أهمل عادت السفينة تنحدر ومن ادعى تغير طبعه كذب ومن قال انى لا أنظر إلى المستحسنات بشهوة لم يصدق ، كف وهؤلاء لو فاتتهم لقمة أو شتمهم شاتم تغيروا فأين تأثير العقل والهوى يقودهم ، وقد رأينا أقواما منهم يصافحون النساء وقد كان رسول الله ﷺ وهو المعصوم لا يصافح المرأة وبلغنا عن جماعة منهم أنهم يؤاخون النساء ويخلون بهن ثم يدعون السلامة وقد رأوا أنهم يسلمون من الفاحشة وهيهات فأين السلامة من إثم الخلوة المحرمة والنظر الممنوع منه وأين الخلاص من جولان الفكر الردىء وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لو خلا عظمان نخران لهمّ أحدهما بالآخر ، يشير إلى الشيخ والعجوز . وباسناد عن ابن شاهين قال ومن الصوفية قوماً أباحوا الفروج بادعاء الاخوة فيقول أحدهم المرأة تؤاخينى على ترك الإعتراض فيما بيننا قلت وقد روى لنا أبو عبدالله محمد بن على الترمذى الحكيم

فى كتاب رياضة النفوس قال روى لنا أن سهل بن على المروزى كان يقول لامرأة أخيه وهى معه فى الدار استترى منى زماناً ثم قال لها كونى كيف شئت قال الترمذى، وكان ذلك منه حين وجد شهوته قلت، أما موت الشهوة هذا لا يتصور مع حياة الآدمى وإنما يضعف والانسان قد يضعف عن الجماع ولكنه يشتهى اللمس والنظر ، ثم يقدر أن جميع ذلك ارتفع عنه أليس نهى الشرع عن النظر والنظر باق وهو عام وقد أخبرنا ابن ناصر باسناد عن أبى عبد الرحمن السلمى قال قيل لأبى نصر النصراباذى أن بعض الناس يجالس النسوان ويقول أنا معصوم فى رؤيتهن فقال ما دامت الأشباح قائمة فان الأمر والنهى باق والتحليل والتحريم مخاطب به ولن يجترىء على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات وقد قال أبو على الروزبارى وسئل عمن يقول وصلت إلى درجة لا تؤثر فى اختلاف الأحوال فقال قد وصل ولكن إلى سقر . وباسناد عن الجريرى يقول سمعت أبا القسم الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل فقال الجنيد أن هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال وهذه عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا ، وأن العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بى دونها لأنه أوكد فى معرفتى به وأقوى فى حالى . وباسناد عن أبى محمد المرتعش يقول سمعت أبا الحسين النورى يقول من رأيته يدعى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم شرعى فلا تقربنه ومن رأيته يدعى حالة باطنة لا يدل عليها ويشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه .

(الشبهة السادسة) أن أقواماً بالغوا فى الرياضة فرأوا ما يشبه نوع كرامات أو منامات صالحة أو فتح عليهم كلمات لطيفة أثمرها الفكر والخلوة فاعتقدوا انهم قد وصلوا إلى المقصود وقد وصلنا فما يضرنا شىء ومن وصل الى الكعبة انقطع عن السير فتركوا الأعمال الا انهم يزينون ظواهرهم بالمرقعة

والسجادة والرقص والوجد ويتكلمون بعبارات الصوفية في المعرفة والوجد والشوق وجوابهم هو جواب الذين قبلهم .

قال ابن عقيل اعلم أن الناس شردوا على الله عز وجل وبعدوا عن وضع الشرع إلى أوضاعهم المخترعة . فمنهم من عبد سواه تعظيما له عن العبادة وجعلوا تلك وسائل على زعمهم ومنهم من وحد إلا أنه أسقط العبادات وقال هذه أشياء نصبت للعوام لعدم المعارف وهذا نوع شرك لأن الله عز وجل لما عرف أن معرفته ذات قعر بعيد وجو عال وبعيد أن يتقى من لم يعرف خوف النار لأن الخلق قد عرفوا قدر لذعها وقال لأهل المعرفة « ويحذركم الله نفسه » وعلم أن للتعبدات أكثرها تقتضى الإنس بالأمثال ووضع الجهات والأمكنة والأبنية والحجارة للانساك والاستقبال فابان عن حقائق الايمان به فقال « وليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله » وقال « لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا »[1] فعلم أن المعول على المقاصد ولا يكفى بمجرد المعارف من غير امتثال كما تعول عليه الملحدة الباطنية وشطاح الصوفية .

وباسناد عن أبي القاسم بن علي بن المحسن التنوخي عن أبيه . قال : أخبرني جماعة من أهل العلم أن بشيراز رجل يعرف بابن خفيف البغدادي شيخ الصوفية هناك يجتمعون إليه ويتكلم على الخطرات والوساوس ويحضر حلقته ألوف من الناس وأنه فاره فهم حاذق . فاستغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المذهب قال : فمات رجل منهم من أصحابه وخلف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بمأتمهن غير هن : فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص أصحابه وهم عدد كثير إلى الدار وأخذ يعزى المرأة بكلام الصوفية إلى أن قالت . قد تعزيت . فقال لها ههنا غير . فقالت لا غير قال فما معنى إلزام النفوس آفات الغموم ، وتعذيبها بعذاب الهموم ، ولأى معنى نترك الامتزاج لتلتقى الأنوار ، وتصفو الأرواح ويقع الاخلافات وتنزل البركات . قال فقلن النساء إذا شئت . قال فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم فلما كان سحر خرجوا . قال المحسن .

(١) سورة الحج آية ٣٧ .

قوله هنا غير أى هنا غير موافق المذهب . فقالت لاغير أى ليس مخالف وقوله نترك الامتزاج كناية عن الممازجة فى الوطء وقوله لتلتقى الأنوار عندهم أن فى كل جسم نوراً الهياً . وقوله الاخلافات أى يكون لكنّ خلف ممن مات أوغاب من أزواجكن . قال المحسن وهذا عندى عظيم ولولا أن جماعة يخبرونى يبعدون عن الكذب ماحكيته لعظمه عندى واستبعاد مثله أن يجرى فى دار الإسلام ، قال : وبلغنى أن هـذا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جموعهم فكفوا .

(فصل) ولما قل علم الصوفية بالشرع فصدر منهم من الأفعال والأقوال مالا يحل مثل ما قد ذكرنا ثم تشبه بهم من ليس منهم وتسمى باسمهم وصدر عنهم مثل ماقد حكينا وكان الصالح منهم نادراً ذمهم خلق من العلماء وعابوهم حتى عابهم مشايخهم .

وباسناد عن عبدالملك بن زياد النصيبى . قال : كنا عند مالك فذكرت له صوفيين فى بلادنا . فقلت له : يلبسون فواخر ثياب اليمن ويفعلون كذا . قال ويحك و مسلمين هم. قال فضحك حتى استلقى قال فقال لى بعض جلسائه : يا هذا ما رأينا أعظم فتنة على هذا الشيخ منك ما رأيناه ضاحكا قط .

وباسناد عن يونس بن عبـد الأعلى قال سمعت الشافعى يقول : لو أن رجلا تصوف أول النهار لايأتى الظهر حتى يصير أحمق. وعنه أيضاً أنه قال . مالزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد عقله اليه أبداً وأنشد الشافعى .

ودعوا الذين إذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا كانوا ذئاب حقاف

وبإسناد عن حاتم قال حدثنا احمد بن أبى الحوارى . قال: قال أبو سليمان مارأيت صوفياً فيه خيرإلا واحداً عبد الله بن مرزوق . قال وأنا أرق لهم.

وبإسناد عن يونس بن عبدالأعلى يقول : مارأيت صوفياً عاقلاإلا إدريس الخولانى . قال السلمى . هو مصرى من قدماء مشايخهم قبل ذى النون .

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى : يقول صحبت الصوفية ثلاثين سنة مارأيت فيهم عاقلا الا مسلم الخواص . وبإسناد عن احمد بن أبى الحوارى يقول حدثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول سمعت عاصماً يقول : مازلنا

نعرف الصوفية بالحماق إلا أنهم يستترون بالحديث . وبإسناد عن سفيان عن عاصم يقول : قال لى وكيع لم تركت حديث هشام . قلت صحبت قوماً من الصوفية وكنت بهم معجباً . فقالوا . ان لم تمح حديث هشام قاطعناك فأطعتم : قال إن فيهم حمقاً . وبإسناد عن يحي بن يحي قال الخوارج أحب إلىّ من الصوفية . وباسناد عن يحي بن معاذ يقول اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين ، والفقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين .

وقد ذكرنا فى أول ردنا على الصوفية من هذا الكتاب . ان الفقهاء بمصر أنكروا على ذى النون ماكان يتكلم به وببسطام على أبى يزيد وأخرجوه ، وأخرجوا أبا سليمان الدارانى ، وهرب من أيديهم احمد بن أبى الحوارى وسهل التسترى. وذلك لأن السلف كانوا ينفرون من أدنى بدعة ويهجرون عليها تمسكا بالسنة ولقد حدثنى أبو الفتح بن السامرى . قال : جلس الفقهاء فى بعض الأربطة للعزاء بفقيه مات فأقبل الشيخ أبو الخطاب الكلوذانى الفقيه متوكئاً على يدى حتى وقف بباب الرباط وقال : يعز علىّ لورآنى بعض أصحابنا ومشايخنا القدماء وأنا أدخل هذا الرباط . قلت : على هذا كان أشياخنا .

فاما فى زماننا هذا فقد اصطلح الذئب والغنم . قال ابن عقيل : نقلته من خطه وأنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الش ء ذم فعلها ، منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهى الأربطة فانقطعوا إليها عن الجماعات فى المساجد فلا هى مساجد ولا بيوت ولا خانات وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب والرقص والغناء ، وعولوا على الترقيع المعتمد به التحسين تلبيعاً والمشاوذ بألوان مخصوصة أوقع فى نفوس العوام والنسوة من تلبيع السقلاطون بألوان الحرير ، واستمالوا النسوة والمردان بتصنع الصور واللباس فما دخلوا بيتاً فيه نسوة فخرجوا إلا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن ثم يقبلون الطعام والنفقات من الظلمة والفجار وغاصبي الأموال كالعداد والأجناد وأرباب المكوس ، ويستصحبون المردان فى السماعات يجلبونهم فى الجموع مع ضوء الشموع ، ويخالطون النسوة

الأجانب ينصبون لذلك حجة إلباسهن الخرقة ، ويستحلون بل يوجبون اقتسام ثياب من طرب فسقط ثوبه ، ويسمون الطرب وجداً ، والدعوة وقتاً ، واقتسام ثياب الناس حكما ، ولا يخرجون عن بيت دعوا إليه إلا عن إلزام دعوة أخرى يقولون أنها وجبت واعتقاد ذلك كفر وفعله فسوق . ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قربة وقد سمعنا عنهم أن الدعاء عند حدو الحادى وعند حضور المخدة مجاب اعتقاداً منهم أنه قربة وهذا كفر أيضاً لأن من اعتقد المكروه والحرام قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً والناس بين تحريمه وكراهيته ويسلمون أنفسهم إلى شيوخهم [1] فان عولوا إلى مرتبة شيخه قيل الشيخ لا يعترض عليه . فخذ من حل رسن ذلك الشيخ وانحطاطه فى سلك الأقوال المتضمنة للكفر والضلال المسمى شطحاً وفى الأفعال المعلومة كونها فى الشريعة فسقاً . فان قبّل أمرداً قيل رحمة ، وإن خلا بأجنبية قيل بنته وقد لبست الخرقة ، وإن قسم ثوباً على غير أربابه من غير رضا مالكه قيل حكم الخرقة . وليس لنا شيخ نسلم إليه حاله إذ ليس لنا شيخ غير داخل فى التكليف وأن المجانين والصبيان يضرب على أيديهم وكذلك البهائم . والضرب بدل من الخطاب ، ولو كان لنا شيخ يسلم إليه حاله لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصديق رضى الله عنه . وقد قال إن اعوججت فقوموني ولم يقل فسلموا إلىّ . ثم أنظر إلى الرسول صلوات الله عليه كيف اعترضوا عليه . فهذا عمر يقول : ما بالنا نقصر وقد أمنا . وآخر يقول : تنهانا عن الوصال وتواصل ؟ وآخر يقول : أمرتنا بالفسخ ولم تفسخ ! ثم إن الله تعالى تقول له الملائكة : (أَتَجْعَلُ فِيهَا)[2] . ويقول موسى (أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا)[3] ، وإنما هذه الكلمة جعلها الصوفية ترفيها لقلوب المتقدمين ، وسلطنة سلكوها على الأتباع والمريدين كما قال تعالى «فاستخف قومه فأطاعوه» ، ولعل هذه الكلمة من القائلين منهم بأن العبد إذا عرف لم يضره ما فعل . وهذه نهاية الزندقة لأن الفقهاء أجمعوا على أنه لا حالة ينتهى إليها

(١) قوله فإن عولوا إلى قوله فى الشريعة فسقاً غير منتظم والمعنى غير خفى على المتأمل وهذه الجمل غير موجودة فى النسختين .

(٢) سورة البقرة آية ٣٠ .

(٣) سورة الاعراف آية ١٥٥ .

العارف إلا ويضيق عليه التكليف كأحوال الأنبياء يضايقون فى الصغائر . فالله الله فى الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات . وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدارع العمال مرقعات وصوف ، وبين أعمال الخلعاء الملحدة أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع . ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاؤا بوضع أهل الخلاعة .

فأول ما وضعوا أسماء وقالوا حقيقة وشريعة . وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق . فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع فى النفوس من إلقاء الشياطين . وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فغرور مخدوع . وإن سمعوا أحداً يروى حديثاً قالوا مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت . فمن قال حدثنى أبى عن جدى قلت حدثنى قلبى عن ربى فهلكوا وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأغمار وأنفقت عليهم لأجلها الأموال . لأن الفقهاء كالأطباء والنفقة فى ثمن الدواء صحبة والنفقة على هؤلاء كالنفقة على المغنيات . وبغضهم الفقهاء أكبر الزندقه لأن الفقهاء يحظرونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم . والحق يثقل كما تثقل الزكاة . وما أخف البذل على المغنيات وإعطاء الشعراء على المدائح . وكذلك بغضهم لأصحاب الحديث وقد أبدلوا إزالة العقل بالخمر بشىء سموه الحشيش والمعجون والغناء المحرم ، سموه السماع والوجد والتعرض بالوجد المزيل للعقل حرام كفى الله الشريعة شر هذه الطائفة الجامعة بين دهمثة فى اللبس وطيبة فى العيش وخداع بألفاظ معسولة ليس تحتها سوى إهمال التكليف وهجران الشرع ولذلك خفوا على القلوب ولا دلالة على أنهم أرباب باطل أوضح من محبة طباع الدنيا لهم كمحبتهم أرباب اللهو والمغنيات .

قال ابن عقيل فان قال قائل هم أهل نظافة ومحاريب وحسن سمت وأخلاق قال فقلت لهم لو لم يضعوا طريقة يجتذبون بها قلوب أمثالكم لم يدم لهم عيش والذى وصفتهم به رهبانية النصرانية ولو رأيت نظافة أهل التطفيل على الموائد ومخانيث بغداد ودماثة المغنيات لعلمت أن طريقهم طريقة الفكاهة والخداع وهل يخدع الناس إلا بطريقة أو لسان فاذا لم يكن للقوم قدم فى

العلم ولا طريقة فبم ذا يجتذبون به قلوب أرباب الأموال . واعلم أن حمل التكليف صعب ولا أسهل على أهل الخلاعة من مفارقة الجماعة ولا أصعب عليهم من حجر ومنع صدر عن أوامر الشرع ونواهيه وماعلى الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين فهؤلاء يفسدون عقائد الناس بتوهيمات شبهات العقول وهؤلاء يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان يحبون البطالات وسماع الأصوات وما كان السلف كذلك بل كانوا فى باب العقائد عبيد تسليم وفى الباب الآخر أرباب جد . قال : ونصيحتى إلى إخوانى أن لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين ولا تصغى مسامعهم إلى خرافات المتصوفين بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة الصوفية والوقوف على الظواهر أحسن من توغل المنتحلة وقد خبرت طريقة الفريقين فغاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح .

قال ابن عقيل : والمتكلمون عندى خير من الصوفيه لأن المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيه . فأكثر كلامهم يشير إلى إسقاط السفارة والنبوات . فاذا قالوا عن أصحاب الحديث قالوا : أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . فقد طعنوا فى النبوات وعولوا على الواقع . ومتى أزرى على طريق سقط الآخذ به . ومن قال حدثنى قلبى عن ربى فقد صرح انه غنى عن الرسول ، ومن صرح بذلك فقد كفر . فهذه كلمة مدسوسة فى الشريعة تحتها هذه الزندقة ومن رأيناه يزرى على النقل علمنا انه قد عطل أمر الشرع . وما يؤمن هذا القائل : حدثنى قلبى عن ربى أن يكون ذلك من إلقاء الشياطين فقد قال الله عز وجل : (وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ)(١) . وهذا هو الظاهر لأنه ترك الدليل المعصوم وعول على ما يلقى فى قلبه الذى لم تثبت حراسته من الوساوس وهؤلاء يسمون ما يقربهم خاطراً . قال والخوارج على الشريعة كثير إلا أن الله عز وجل يؤيدها بالنقلة الحفاظ الذابين عن عن الشريعة حفظا لأصلها ، وبالفقهاء لمعانيها : وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب رأساً ترتفع .

(١) سورة الانعام آية ١٢١ .

قال ابن عقيل : والناس يقولون إذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية قال وأنا أقول وخراب دينه لأن الصوفية قد أجازوا لبس النساء الخرقة من الرجال الأجانب فاذا حضروا السماع والطرب فربما جرى فى خلال ذلك مغازلات واستخلاء بعض الأشخاص ببعض فصارت الدعوة عرساً للشخصين فلا يخرج إلا وقد تعلق قلب شخص بشخص ومال طبع إلى طبع وتتغير المرأة على زوجها فإن طابت نفس الزوج سمى بالديوث وإن حبسها طلبت الفرقة إلى من تلبس منه المرقعة والاختلاط بمن لا يضيق الخناق ولا يحجر على الطباع . ويقال : تابت فلانة وألبسها الشيخ الخرقة وقد صارت من بناته . ولم يقنعوا أن يقولوا هـذا لعب وخطأ حتى قالوا هذا من مقامات الرجال وجرت على هذه السنون ورد حكم الكتاب والسنة فى القلوب . هذا كله من كلام ابن عقيل رضى الله عنه فلقد كان ناقداً مجيداً متلمحاً فقيهاً .
أنشدنا أبو على عبيدالله الزاغونى قال أنشدنا أبو محمد رزق الله بن عبدالوهاب التميمى وأبو منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكرى قالا أنشدنا أبو بكر العنبرى لنفسه فى الصوفية .

تأملت اختبر المدعين ... بين الموالى وبين العبيد
فألفيت أكثرهم كالسراب ... يروقك منظره من بعيد
فناديت ياقوم من تعبدون ... فكل أشار بقدر الوجود
فبعض أشار إلى نفسه ... واقسم ما فوقها من مزيد
وبعض إلى خرقة رقعت ... وبعض إلى ركوة من جلود
وآخر يعبـــد أهواءه ... وما عابد للهوى بالرشيد
ومجتهد وقته ربه ... فان فات بات بليل عنيد
وذو كلف باستماع السما ... ع بين البسيط وبين النشيد
يئن إذا أومضت رنة ... ويزأر منها زئير الأسود
يخرق خلقانه عامداً ... ليعتاض منها بثوب جديد
ويرمى بهيكله فى السعير ... لقلع الثريد وبلع العصيد
فيا للرجال ألا تعجبون ... لشيطان إخواننا ذا المزيد

يخبطهم بفنون الجنون — وما للمجانين غير القيود
وأقسم ما عرفوا ذا الجلال — وما عرفوه بغير الجحود
ولولا الوفاء لأهل الوفاء — سلقتهم بلسان حديد
فمالى يطالبنى بالوصا — ل من ليس يعلم ما فى الصدود
اضن بودى ويسخو به — وقد كنت اسخو نه للودود
ولكن إذا لم أجد صاحبا — يسر صديق ويشجو الحسود
عطفت بودى منى إليه — فغاب نحوسى وآب السعود
فما بال قومى على جهلهم — بعز الفريد وأنس الوحيد
اذا أبصرونى بكوا رحمة — ونيران أحقادهم فى وقود
لأنى بعدت عن المدعين — ولو صدقوا كنت غير البعيد

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبا الحسين بن عبد الجبار الصيرفى نا أبو عبد الله محمد بن على الصورى قال أنشدنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر التجيبى قال أنشدنا الحسن بن على بن سيار :

رأيت قوما عليهم سمة الخـــــير بحمل الركاء مبتهلة
اعتزلوا الناس فى جوامعهم — سألت عنهم فقيل متكله
صوفية للقضاء صابرة — ساكنة تحت حكمه بزله
فقلت إذ ذاك هؤلاء هم الـ — ناس ومن دون هؤلاء رزله
فلم أزل خادماً لهم زمنا — حتى تبينت أنهم سفله
إن أكلوا كان أكلهم سرفا — أو لبسوا كان شهرة مثله
سل شيخهم والكبير مختبرا — عن فرضه لاتخاله عقله
واساله عن وصف شادن غنج — مدلل لا تراه قد جهله
علمهم بينهم إذا جلسوا — كعلم راعى الرعاع والرذله
الوقت والحال والحقيقة والـ — برهان والعكس عندهم مثله
قد لبسوا الصوف كى يروا صلحا — وهم شرار الذباب والحفله
وجانبوا الكسب والمعاش لكى — يستأصلوا الناس شرها أكله
وليس من عفة ولادعة — لكن تعجيل راحة العطله

فقل لمن مال باختداعهم   اليهم تب فإنهم بطله
واستغفر الله من كلامهم   ولا تعاود لعشرة الجهله

قال الصورى وأنشدنى بعض شيوخنا :

أهل التصوف قد مضوا   صار التصوف مخرقه
صار التصوف صيحة   وتواجداً ومطبقه
كذبتك نفسك ليس ذا   سنن الطريق الملحقة
حتى تكون بعين من   منه العيون المحدقة
تجرى عليك صروفه   وهموم سرك مطرقة

أنشدنا محمد بن ناصر قال أنشدنا أبو زكريا التبريزى لأبى العلاء المعرى :

زعموا بأنهم صفوا لمليكهم   كذبوك ماصافوا ولكن صافوا
شجر الخلاف قلوبهم ويح لها   غرضى خلاف الحق لا الصفصاف

أنشدنا ابن ناصر أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو اسحاق الشيرازى الفقيه لبعضهم :

أرى جيل التصوف شر جيل   فقل لهم واهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه   كلوا أكل البهائم وأرقصو لى

الباب الحادي عشر

تلبيسه على المتدينين
بما يشبه الكرامات

قد بينا فيما تقدم أن ابليس انما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم فكلما قل علم الإنسان كثر تمكن ابليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه . ومن العباد من يرى ضوءا أو نوراً في السماء فان كان رمضان قال : رأيت ليلة القدر وإن كان في غيره قال قد فتحت لي أبواب السماء . وقد يتفق له الشيء الذي يطلبه فيظن ذلك كرامة وربما كان اتفاقاً وربما كان اختباراً وربما كان من خدع ابليس. والعاقل لا يساكن شيئاً من هذا ولو كان كرامة. وقد ذكرنا في باب الزهاد عن مالك ابن دينار وحبيب العجمي أنهما قالا : ان الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز ولقد استهوى بعض ضعفاء الزهاد بأن أراه ما يشبه الكرامة حتى ادعى النبوة فروى عن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي قال : ثنا محمد بن المبارك ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن حسان . قال : كان الحارث الكذاب من أهل دمشق وكان مولى لأبي الجلاس وكان له أب بالغوطة تعرض له إبليس وكان متعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهادة وكان إذا أخذ في التحميد لم يصغ السامعون إلى كلام أحسن من كلامه قال : فكتب إلى أبيه يا أبتاه أعجل علي فإني قد رأيت أشياء أتخوف منها أن تكون من الشياطين قال : فزاده أبوه غياً وكتب إليه . يا بني أقبل على ما امرت به إن الله يقول: (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (١)) ولست بأفاك ولا أثيم فامض لما أمرت به . وكان يجيء إلى أهل المساجد رجلا رجلا فيذكر لهم أمره ويأخذ عليهم العهود والمواثيق ان هو رأى يرضى قبل والا كتم عليه : وكان يريهم الأعاجيب . كان يأتي إلى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح .وكان يطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء ويقول:

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

أخرجوا حتى أريكم الملائكة فيخرجهم إلى دير المران فيريهم رجالا على خيل ، فتبعه بشر كثير وفشى الأمر وكثر أصحابه حتى وصل خبره إلى القاسم ابن مخيمرة فقال له إنى نبي فقال له القاسم كذبت ياعدو الله فقال له أبو إدريس بئس ما صنعت إذ لم تلن له حتى تأخذه . الآن يفر وقام من مجلسه حتى دخل على عبد الملك فأعلمه بأمره فبعث عبد الملك فى طلبه فلم يقدر عليه . وخرج عبد الملك حتى نزل العنيبرة [1] فاتهم عامة عسكره بالحارث أن يكونوا يرون رأيه وخرج الحارث حتى أتى بيت المقدس واختفى وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه وكان رجل من أهل البصرة قد أتى بيت المقدس فأدخل على الحارث فأخذ فى التحميد وأخبره بأمره وأنه نبي مبعوث مرسل . فقال . إن كلامك لحسن ولكن لى فى هذا نظر . قال فانظر. فخرج البصرى ثم عاد اليه فرد عليه كلامه فقال إن كلامك لحسن وقد وقع فى قلبي وقد آمنت بك وهذا هو الدين المستقيم . فأمر أن لا يحجب عنه متى أراد الدخول فأقبل البصرى يتردد اليه ويعرف مداخله ومخارجه وأين يهرب حتى صار من أخبر الناس به . ثم قال له . أتأذن لى فقال إلى أين قال إلى البصرة فأكون أول داع لك بها. قال فأذن له فخرج مسرعاً إلى عبد الملك وهو بالصنيبرة فلما دنا من سرادقه صاح النصيحة النصيحة . فقال أهل العسكر . وما نصيحتك قال نصيحة لأمير المؤمنين فأمر الخليفة عبد الملك أن يأذنوا له بالدخول عليه فدخل وعنده أصحابه قال فصاح النصيحة قال وما نصيحتك قال اخلنى لا يكن عندك أحد فأخرج من فى البيت وقال له ادننى قال أدن فدنا وعبد الملك على السرير قال ما عندك قال الحارث فلما ذكر الحارث طرح عبد الملك نفسه

(١) هكذا فى نسخة وفى نسخة أخرى الصنيبرة بصاد مهملة وقد ضبطت به والضم والله أعلم

من أعلى السرير إلى الأرض ثم قال أين هو قال : ياأمير المؤمنين هو ببيت المقدس قد عرفت مداخله ومخارجه وقص عليـه قصته وكيف صنع به فقال أنت صاحبه وأنت أمير بيت المقدس وأميرنا ههنا فرني بما شئت . قال : يا أمير المؤمنين ابعث معي قوماً لا يفهمون الـكلام فأمر أربعين رجلا من فرغانة فقال انطلقوا مع هـذا فما أمركم به من شيء فأطيعوه ، قال : وكتب إلى صاحب بيت المقدس أن فلاناً هو الأمـير عليك حتى يخرج فأطعه فيما أمرك به . فلما قدم بيت المقدس أعطاه الـكتاب فقال مرني بما شئت.فقال : اجمع لى كل شمعة تقدر عليها ببيت المقدس وأدفع كل شمعة إلى رجل ورتبهم على أزقة بيت المقدس وزواياه فإذا قلت . أسرجوا أسرجوا جميعاً فرتبهم فى أزقة بيت المقـدس وزواياها بالشمع وتقدم البصرى إلى منزل الحارث فأتى الباب فقال للحاجب أستأذن لى على نبي الله قال فى هذه الساعة ما يؤذن عليه حتى يصبح.قال أعلمه أنى مارجعت الا شوقاً اليه قبل أن أصل فدخل عليه وأعلمـه بكلامه فأمره بفتح الباب . قال : ثم صاح البصرى أسرجوا الشموع فأسرجت حتى كانت كأنها النهار ثم قال من مر بكم فأضبطوه كائنا من كان ودخل هو إلى الموضع الذى يعرفه فطلبه فلم يجده فقال أصحاب الحارث هيهات تريدون تقتلون نبي الله قد رفع إلى السماء . قال فطلبه فى شق قد هيأه سرباً فأدخل البصرى يده فى ذلك السرب فاذا هو بثوبه فاجتره فأخرجه إلى خارج ثم قال للفرغانيين اربطوه فربطوه فبينما هم يسيرون به على البريد اذ قال :

أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله . فقال رجل من الفرغانيين أولئك العجم هذا كرامتنا فهات كرامتك انت وساروا به حتى أتوا به عبدالملك فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت فصلبه وأمر بحربة وأمر رجلا فطعنـه فلما صار إلى ضلع من أضلاعه فانـكفأت الحربة عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون . الأنبياء

لا يجوز فيهم السلاح . فلما رأى ذلك رجل من المسلمين تناول الحربة ثم مشى اليه وأقبل يتجسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنفذها فقتله.قال الوليد:

بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية دخل على عبد الملك بن مروان فقال لو حضرتك ما أمرتك بقتلة . قال ولم . قال إنما كان به المذهب فلو جوعته ذهب عنه . وروى أبو الربيع عن شيخ أدرك القدماء قال لما حمل الحارث على البريد وجعلت في عنقه جامعة من حديد وجمعت يده إلى عنقه فأشرف على عقبة بيت المقدس تلى هذه الآية (قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي (١)) . فتقلقلت الجامعة ثم سقطت من يده ورقبته إلى الأرض فوثب الحرس الذين كانوا معه فأعادوها عليه ثم ساروا به فلما أشرفوا على عقبة أخرى قرأ آية فسقطت من رقبته ويده على الأرض فأعادوها عليه فلما قدموا على عبد الملك حبسه وأمر رجالا من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويخوفوه الله ويعلموه أن هذا من الشيطان فأبى أن يقبل منهم فصلب . وجاء رجل بحربة فطعنه فانثنت فتكلم الناس وقالوا ما ينبغي لمثل هذا أن يقتل ثم أتاه حرسي برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه ثم هزه وأنفذه . وسمعت من قال قال عبدالملك للذي ضربه بالحربة لما انثنت أذكرت الله حين طعنته قال نسيت قال فاذكر الله ثم اطعنه فذكر الله ثم طعنه فأنفذها .

﴿فصل﴾ وكم اغتر قوم بما يشبه الكرامات فقد روينا باسناد عن حسن عن أبي عمران قال : قال لي فرقد . يا أبا عمران قد أصبحت اليوم وأنا مهتم بضريبتي وهي ستة دراهم وقد أهل الهلال وليست عندي فدعوت فبينما أنا أمشي على شط الفرات اذا أنا بستة دراهم فأخذتها فوزنتها فاذا هي ستة لا تزيد ولا تنقص . فقال تصدق بها فانها ليست لك . قلت . أبو عمران هو ابراهيم النخعي فقيه أهل الكوفة . فانظروا إلى كلام الفقهاء وبعد الاغترار عنهم . وكيف أخبره انها لقطة ولم يلتفت الى ما يشبه الكرامة . وإنما لم يأمره بتعريفها لأن مذهب الكوفيين أنه لا يجب التعريف لما دون الدينار . وكأنه انما أمره بالتصدق بها لئلا يظن أنه قد أكرم بأخذها وإنفاقها . وباسناد عن ابراهيم الخراساني أنه قال احتجت يوما إلى الوضوء فاذا أنا بكوز من جوهر

(١) سورة سبأ آية ٥٠ .

وسواك من فضة رأسه ألين من الخز فاستكت بالسواك وتوضأت بالماء . وتركتهما وانصرفت . قلت . في هذه الحكاية من لا يوثق بروايته فان صحت دلت على قلة علم هـذا الرجل إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لا يجوز ولـكن قل علمه فاستعمله . وان ظن أنه كرامة والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعا إلا أن أظهر له ذلك على سبيل الامتحان وذكر محمد بن أبي الفضل الهمداني المؤرخ قال حدثني أبي قال كان السرمقاني المقرى يقرأ على ابن العلاف وكان يأوي إلى المسجد بدرب الزعفراني واتفق أن ابن العلاف رآه ذات يوم في وقت مجاعة وقد نزل إلى دجلة وأخذ منه أوراق الخس مما يرمى به أصحابه وجعل يأكله فشق ذلك عليه وأتى إلى رئيس الرؤساء فأخبره بحاله فتقـدم إلى غلام بالقرب إلى المسجد الذي يأوي إليه السرمقاني أن يعمل لبابه مفتاحا من غير أن يعلمه ففعل وتقدم إليه أن يحمل كل يوم ثلاثة أرطال خبزاً سميداً ومعها دجاجة وحلوى سكراً ففعل الغلام ذلك وكان يحمله على الدوام .فأتى السرمقاني في أول يوم فرأى ذلك مطروحاً في القبلة ورأى الباب مغلقاً فتعجب . وقال في نفسه : هذا من الجنة ويجب كتمانه وأن لا أتحدث به فإن من شرط الـكرامة كتمانها وأنشدني :

من أطلعوه على سر فباح به   لم يأمنوه على الأسرار ماعاشا

فلما استوت حالتـه وأخصب جسمه سأله ابن العلاف عن سبب ذلك وهو عارف به وقصد المزاح معه.فأخذ يوري ولا يصرح،ويكني ولا يفصح. ولم يزل ابن العـلاف يستخبره حتى أخبره أن الذي يجده في المسجد كرامة إذ لا طريق لمخلوق عليه . فقال له ابن العلاف . يجب أن تدعو لابن المسلمة فإنه هو الذي فعل ذلك.فنغص عيشه بأخباره وبانت عليه شواهد الانكسار .

﴿ فصل ﴾ ولما علم العقلاء شدة تلبيس إبليس حذروا من أشياء ظاهرها الـكرامة وخافوا أن تـكون من تلبيسه.روينا بإسناد عن أبي الطيب يقول :

سمعت زهرون يقول : كلمني الطير وذاك أني كنت في البادية فتهت فرأيت طائراً أبيض فقال لي يازهرون أنت تائه . فقلت : ياشيطان غرغيري . فقال لي :

أنت تائه . فقلت : ياشيطان غر غيرى . فوثب فى الثالثة وصار على كتفى . وقال : ماأنا بشيطان أنت تائه أرسلت اليك ثم غاب عنى . وبإسناد عن محمد ابن عبدالله القرشى قال حدثنى محمد بن يحيى بن عمرو قال حدثتنى زلفى قالت : قلت لرابعة العدوية يا عمة لم لاتأذنين للناس يدخلون عليك قالت وما أرجو من الناس إن أتونى حكوا عنى مالم أفعل . قال القرشى : وزادنى غير أبى حاتم . أنها قالت . يبلغنى أنهم يقولون إنى أجد الدراهم تحت مصلاى، ويطبخ لى القدر بغير نار . ولو رأيت مثل هذا فزعت منه : قالت فقلت لها إن الناس يكثرون فيك القول . يقولون إن رابعة تصيب فى منزلها الطعام والشراب. فهل تجدين شيئاً فيه . قالت : يابنت أخى لو وجدت فى منزلى شيئاً مامسسته ولا وضعت يدى عليه . قال القرشى وحدثنى محمد بن إدريس قال قال محمد ابن عمرو . وحدثتنى زلفى عن رابعة إنها أصبحت يوماً صائمة فى يوم بارد قالت فنازعتنى نفسى إلى شىء من الطعام السخن أفطر عليه وكان عندى شحم فقلت . لو كان عندى بصل أو كراث عالجته فإذا عصفور قد جاء فسقط على المثقب فى منقاره بصلة . فلما رأيته أضربت عما أردت وخفت أن يكون من الشيطان . وبالإسناد عن محمد بن يزيد . قال كانوا يرون لوهيب أنه من أهل الجنة فإذا أخبر بها اشتد بكاؤه . وقال قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان وبالإسناد عن أبى عثمان النيسابورى يقول خرجنا جماعة مع أستاذنا أبى حفص النيسابورى إلى خارج نيسابور فجلسنا فتكلم الشيخ علينا فطابت أنفسنا ثم بصرنا فإذا بأيل[1] قد نزل من الجبل حتى برك بين يدى الشيخ فأبكاه ذلك بكاء شديداً . فلما سكن سألناه فقلت ياأستاذ تكلمت علينا فطابت قلوبنا، فلما جاء هذا الوحش وبرك بين يديك أزعجك وأبكاك . فقال : نعم رأيت اجتماعكم حولى وقد طابت قلوبكم فوقع فى قلبى لو أن شاة ذبحتها ودعوتكم

(١) الأيل بضم الهمزة وكسرها والياء فيهما مشدداً التيس الجبلى .

عليها . فما تحكم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدى تخيل لى أنى مثل فرعون الذى سأل ربه أن يجرى له النيل فأجراه . قلت فما يؤمننى أن يكون الله تعالى يعطينى كل حظ لى فى الدنيا وأبقى فى الآخرة فقيراً لا شىء لى. فهذا الذى أزعجنى .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات فى كرامات الأولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم والحق لا يحتاج إلى تشييد بباطل فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل. أخبرنا محمد بن ناصر انبأنا الحسن بن أحمد الفقيه قال نا محمد بن محمد الحافظ قال نا عبيد الله بن محمد الفقيه قال أحمد بن عبد الله بن الحسن الآدمى قال حدثنى أبى قال : قال سهل بن عبد الله قال عمرو بن واصل . كذا فى الرواية والصواب قال عمرو ابن واصل قال سهل بن عبد الله صحبت رجلا من الأولياء فى طريق مكة فنالته فاقة ثلاثة أيام فعدل إلى مسجد فى أصل جبل وإذا فيه بئر عليها بكرة وحبل ودلو ومطهرة . وعند البئر شجرة رمان ليس فيها حمل . فأقام فى المسجد إلى المغرب فلما دخل الوقت إذا بأربعين رجلا عليهم المسوح وفى أرجلهم نعال الخوص قد دخلوا المسجد فسلموا وأذن أحدهم وأقام الصلاة وتقدم فصلى بهم . فلما فرغ من صلاته تقدم إلى الشجرة فإذا فيها أربعون رمانة غضة طرية فأخذ كل واحد منهم رمانة وانصرف . قال وبت على فاقتى فلما كان فى الوقت الذى أخذوا فيه الرمان أقبلوا أجمعين فلما صلوا وأخذوا الرمان قلت يا قوم أنا أخوكم فى الاسلام وبى فاقة شديدة فلا كلمتمونى ولا واسيتمونى فقال رئيسهم إنا لا نكلم محجوباً بما معه فامض واطرح ما معك وراء هذا الجبل فى الوادى وارجع إلينا حتى تنال ما ننال قال فرقيت الجبل فلم تسمح نفسى برمى ما معى فدفنته ورجعت . فقال لى . رميت ما معك . قلت نعم . قال : فرأيت شيئاً قلت . لا ، قال ما رميت شيئاً إذن فارجع فارم به فى الوادى فرجعت ففعلت . فإذا قد غشينى مثل الدرع نور

الولاية فرجعت فإذا فى الشجرة رمانة فأكلتها واستقللت بهـا من الجوع والعطش ولم ألبث دون المضى إلى مكة فإذا أنا بالأربعين بين زمزم والمقام فأقبلوا إلىّ بأجمعهم يسألونى عن حالى ويسلمون علىّ . فقلت : قد غنيت عنكم وعن كلامكم آخراً كما أغناكم الله عن كلامى أولا فما فىّ لغير الله موضع .

قال المصنف رحمه الله : عمرو بن واصل ضعفه ابن أبى حاتم . والآدمى وأبوه مجهولان . ويدل على انها حكاية موضوعة قولهم اطرح ما معك لأن الأولياء لا يخالفون الشرع والشرع قد نهى عن إضاعة المال . وقوله غشينى نور الولاية فهذه حكاية مصنوعة وحديث فارغ ومثل هذه الحكاية لا يغتر بها من شم رائحة العلم إنما يغتر بها الجهال الذين لا بصيرة لهم . أخبرنا محمد بن ناصر قال نا السهلكى قال : سمعت محمد بن على الواعظ . قال : وفيما أفادنى بعض الصوفية حاكيا عن الجنيد قال قال : أبو موسى الديبلى ، دخلت على أبى يزيد فإذا بين يديه ماء واقف يضطرب فقال لى تعال ثم قال إن رجلا سألنى عن الحياء فتكلمت عليه بشىء من علم الحياء فدار دوراناً حتى صار كذا كما ترى وذاب قال الجنيد وقال احمد بن حضرويه ، بقى منه قطعة كقطعة جوهر فاتخذت منه فصاً فكلما تكلمت بكلام القوم أو سمعت من كلام القوم يذوب ذلك الفص حتى لم يبق منه شىء ، قلت وهذه من المحالة القبيحة التى وضعوها الجهال ولولا أن الجهالة يروونهـا مسندة فيظنونها شيئاً لـكان الاضراب عن ذكرها أولى . أنبأنا أبو بكر بن حبيب قال نا ابن أبى صادق قال ثنا ابن باكويه قال ثنا أبو حنيفة البغدادى قال ثنا عبدالعزيز البغدادى قال كنت أنظر فى حكايات الصوفية فصعدت يوما السطح فسمعت قائلا يقول (وهو يتولى الصالحين) فالتفت فلم أر شيئاً فطرحت نفسى من السطح فوقفت فى الهواء .

قال المصنف رحمه الله . هذا كذب محال لا يشك فيه عاقل فلو قدرنا صحته فان طرح نفسه من السطح حرام وظنه أن الله يتولى من فعل المنهى عنه فقد قال تعالى (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ [1]) فكيف يكون صالحاً

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٥ .

وهو يخالف ربه وعلى تقدير ذلك فن أخبره أنه منهم وقد تقدم قول عيسى صلوات الله عليه للشيطان لما قال له الق نفسك . قال إن الله يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه .

﴿ فصل ﴾ وقد اندس فى الصوفية أقوام وتشبهوا بهم وشطحوا فى الكرامات وادعائها وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم وقد روينا عن الحلاج أنه كان يدفن شيئا من الخبز والشواء والحلوى فى موضع من البرية ويطلع بعض أصحابه على ذلك فاذا أصبح قال لأصحابه إن رأيتم أن نخرج على وجه السياحة فيقوم ويمشى والناس معه فاذا جاءوا إلى ذلك المكان قال له صاحبه الذى أطلعه على ذلك نشتهى الآن كذا وكذا فيتركهم الحلاج وينزوى عنهم إلى ذلك المكان فيصلى ركعتين ويأتيهم بذلك . وكان يمد يده إلى الهواء ويطرح الذهب فى أيدى الناس ويمخرق . وقد قال له بعض الحاضرين يوما . هذه الدراهم معروفة ولكن اؤمن بك إذا أعطيتنى درهما عليه اسمك واسم أبيك وما زال يمخرق إلى وقت صلبه .

حدثنا أبو منصور القزاز قال نا أبو بكر بن ثابت نا عبد الله بن احمد ابن عمار الصيرفى ثنا أبو عمرو بن حيوة . قال : لما أخرج حسين الحلاج للقتل مضيت فى جملة الناس فلم أزل أزاحم حتى رأيته .فقال لأصحابه لايهولنكم هذا فأنى عائد اليكم بعد ثلاثين يوما . وكان اعتقاد الحلاج اعتقاداً قبيحاً .وقد بينا فى أول هذا الكتاب شيئاً من اعتقاده وتخليطه وبينا أنه قتل بفتوى فقهاء عصره . وقد كان فى المتأخرين من يطلى بدهن الطلق ويقعد فى التنور ويظهر أن هذا كرامة . قال ابن عقيل . وكان ابن الشباس وأبوه قبله لهم طيور سوابق وأصدقاء فى جميع البلاد فينزل بهم قوم فيرفع طائراً فى الحال إلى قريتهم يخبر بخبر من له هناك بنزولهم ويستمليه من أحوالهم وما تجدد هناك بعدهم قبل أن يجتمع عليهم ويستعلم حالهم فيكتب ذلك اليه الجواب ثم يجتمع بهم فيخبرهم بتلك الحوادث ويحدثهم بأحوالهم حديث من هو معهم ومعاشرهم فى بلادهم ثم يحدثهم بما تجدد بعدهم وفى يومه ذلك فيقول الساعة

تجدد كذا وكذا فيدهشون ويرجعون إلى رستاقهم فيجدون الأمر على ما قال ويتكرر هذا منه فيصير عندهم كالقطعى على أنه يعلم الغيب . قال ، وماكان يفعله أنه يأخذ طير عصفور ويشد فى رجله تلفكا ويجعل فى التلفك بطاقة صغيرة ويشد فى رجل حمامة تلفكا ويشد فى طرف التلفك كتاباً أكبر من ذلك ويجعله بين يديه ويجعل العصفور بيد ويأخذ غلاما له فى السطح [1] والحمامة بيد آخر فيه مافى تلك البطاقة الصغيرة ويطلق الطائر العصفور فينظر الناس الكتاب وهو طائر فى الهواء فيروح الحمام إلى تلك القرية فيأخذه صديقه الذى هناك ثم يخبره بجميع أمور القرية وأصحابها فلما يتكامل مجلسه بالناس يشير وينادى يابارش كأنه يخاطب شيطانا اسمه بارش ويقول خذ هذا الكتاب إلى قرية فلان فقد جرت بينهم خصومة فاجتهد فى اصلاح ذات بينهم ويرفع صوته بذلك فيسرح غلامه المترصد العصفور الذى فى يده فيرفع الكتاب نحو السماء بحضرة الجماعة يرونه عيانا من غير أن يرون التلفك فاذا ارتفع الكتاب جذبه الغلام المقيد بالعصفور وقطع التلفك حتى لا يرى ويرسل العصفور إلى تلك القرية ليصلح الأمر وكذلك يفعل بالحمامة ثم يقول لغلامه هات الكتاب فيلقيه الغلام الذى فى السطح الذى قد جاءه خبر مافى القرية التى هؤلاء منها ثم يكتب كتابا إلى دهقان تلك القرية فيشد به بلفكا ويجعله فى رجل عصفور كما قدمنا ويطلقه حتى يعلو سطح المكان فيأخذه ذلك الغلام فيشده فى رجل طير حمام فيروح الى تلك القرية بذلك الكتاب فيصلح بين الناس الذين قد أتاه خبرهم بالمشاجرة فتخرج الجماعة الذين من تلك القرية فيجدون كتاب الشيخ قد وصل لهم وقد اجتمع دهاقين القرية وأصلحوا بينهم فيجيء ذلك فيخبرهم فلا يشكون فى ذلك أنه يعلم الغيب ويتحقق هذا فى قلوب العوام .

قال ابن عقيل : وإنما أوردت مثل هذا ليعلم أنه قد ارتفع القوم الى التلاعب

---

(١) الغلام فى بعض النسخ هكذا بالنصب وفى بعض بالرفع وعلى كل المعنى ظاهر وهو أن ابن الشباس كان يتخذ غلاماً فى السطح لأجل ما ذكر .

بالدين فأى بقاء للشريعة مع هذا الحال . قلت : وابن الشباس هذا كان يكنى أبا عبد الله والشباس هو أبوه كان يكنى ابا الحسن واسم الشباس على بن الحسين بن محمد البغدادى توفى بالبصرة سنة أربع وأربعين وأربع مائة وكان الشباس وأبوه وعمه مستقرين بالبصرة . وكانت مذاهبهم تخفى على الناس إلا أن الأغلب أنهم كانوا من الشيعة الامامية والغلاة الباطنية وقد ذكرت فى التاريخ عن ابن الشباس ان بعض أصحابه اكتشفت له نار بخياناته وزخارفه وكانت تخفى على الناس إلى أن كشفها بعض أصحابه من الشيعة الامامية الباطنية للناس فلما كشفها للناس وبينها فكان مما حدث به عنه أنه قال : حضرنا يوما عنده فأخرج جديا مشويا فأمرنا بأكله وأن نكسر عظمه ولا نهشمها فلما فرغنا أمر بردها إلى التنور وترك على التنور طبقا ثم رفعه بعد ساعة فوجدنا جديا حيا يرعى حشيشا ولم نر للنار أثراً ولا للرماد ولا للعظام خبراً. قال فتلطفت حتى عرفت ذلك وذلك أن التنور يفضى إلى سرداب وبينهما طبق نحاس بلولب فاذا أراد إزالة النار عنه فركه فينزل عليه فيسده وينفتح السرداب وإذ أراد أن يظهر النار أعاد الطبق الى فم السرداب فترى للناس .

قال المصنف رحمه الله . وقد رأينا فى زماننا من يشير إلى الملائكة ويقول . هؤلاء ضيف مكرمون يوهم أن الملائكة قد حضرت ويقول لهم تقدموا الى . وأخذ رجل فى زماننا ابريقا جديداً فترك فيه عسلا فتشرب فى الخزف طعم العسل واستصحب الابريق فى سفره فكان إذا غرف به الماء من النهر وسقى أصحابه وجدوا طعم العسل ومافى هؤلاء من يعرف الله ولا يخاف فى الله لومة لائم نعوذ بالله من الخذلان .

الباب الثاني عشر

تلبيسه على العوام

قد بينا أن ابليس انما يقوى تلبيسه على قدر قوة الجهل وقد أفتن فيما فتن به العوام وحصر ما فتنهم ولبس عليهم فيه لا يمكن ذكره لكثرته وإنما نذكر من الأمهات ما يستدل به على جنسه والله الموفق . فمن ذلك أنه يأتى إلى العامى فيحمله على التفكر فى ذات الله عز وجل وصفاته فيتشكك . وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال .

قال رسول الله ﷺ « تسألون حتى تقولوا هذا الله خلقنا فمن خلق الله » قال أبو هريرة : فوالله انى لجالس يوماً إذ قال لى رجل من أهل العراق هذا الله خلقنا فمن خلق الله . قال أبو هريرة . فجعلت أصبعى فى أذنى ثم صحت — صدق رسول الله — الله الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

وباسناد عن عائشة قالت . قال رسول ﷺ « ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول . من خلقك ، فيقول الله ، فيقول ، من خلق السموات والأرض ، فيقول الله . فيقول من خلق الله ، فاذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله » .

قال المصنف رحمه الله : وانما وقعت هذه المحنة لغلبة الحس وهو أنه ما رأى شيئا إلا مفعولا . وليقل لهذا العامى ألست تعلم أنه خلق الزمان

لا فى الزمان والمكان لا فى المكان فاذا كانت هذه الأرض وما فيها لا فى مكان ولا تحتها شىء وحسك ينفر من هذا لأنه ما ألف شيئا إلا فى مكان

فلا يطلب بالحس من لا يعرف بالحس . وشاور عقلك فانه سليم المشاورة .

وتارة يلبس ابليس على العوام عند سماع صفات الله عز وجل فيحملونها على مقتضى الحس فيعتقدون التشبيه . وتارة يلبس عليهم من جهـــة العصبية للمذاهب فترى العامى يلاعن ويقاتل فى أمر لا يعرف حقيقته . فمنهم من يخص بعصبيته أبا بكر رضى الله عنه . ومنهم من يخص عليا . وكم قد جرى فى هذا من الحروب وقد جرى فى هذا بين أهل الكوخ وأهل باب البصرة على مر السنين من القتل وإحراق المحال ما يطول ذكره وترى كثيراً ممن يخاصم فى هـذا يلبس الحرير ويشرب الخمر ويقتل النفس وأبو بكر وعلى بريئان منهم . وقد يحس العامى فى نفسه نوع فهم فيسول له ابليس مخاصمة ربه فنهم من يقول لربه كيف قضى وعاقب . ومنهم من يقول لم ضيق رزق المتق وأوسع على العاصى . ومنهم طائفة تشكر على النعم فاذا جاء البلاء اعترض وكفر . ومهم من يقول أى حكمة فى هدم هـذه الأجساد يعذبها بالفناء بعد بنائها . ومنهم من يستبعد البعث . ومن هؤلاء من يختل عليه

مقصوده أو يبتلى ببلاء فيكفر ويقول أنا ما أريد أصلى . وربما غلب فاجر نصرانى مؤمناً فقتله أو ضربه فيقول العوام قد غلب الصليب . ولماذا نصلى إذا كان الأمر كذلك . وكل هذه الآفات تمكن بها منهم إبليس لبعدهم عن العلم والعلماء فلو أنهم استفهموا أهل العلم لأخبروهم ان الله عز وجل حكيم ومالك فلا يبق مع هذا اعتراض .

﴿ فصل ﴾ ومن العوام من يرضى عن عقل نفســه فلا يبـالى بمخالفة العلماء فتى خالفت فتواهم غرضه أخذ يرد عليهم ويقدح فيهمَ . وقد كان ابن عقيل يقول : قد عشت هذه السنين فلو أدخلت يدى فى صنعة صانع لقال أفسدتها علىّ ، فلو قلت أنا رجل عالم لقال بارك الله لك فى علمك ليس هذا من شغلك . هـذا ، وشغله أمر حسى لو تعاطيته فهمته ، والذى أنا فيه من الأمور أمر عقلى فإذا أفتيته لم يقبل ،

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه عليهم تقديمهم المتزهدين على العلماء فلو رأوا جبة صوف على أجهل الناس عظموه خصوصا إذا طأطأ رأسه وتخشع لهم ويقولون ، أين هذا من فلان العالم ذاك طالب الدنيا وهذا زاهد لا يأكل عنبه ولا رطبه ولا يتزوج قط جهلا منهم بفضل العلم على الزاهد وإيثاراً للمتزهدين على شريعة محمد بن عبد الله ﷺ ومن نعمة الله سبحانه وتعالى على هؤلاء أنهم لم يدركوا رسول الله ﷺ إذ لو رأوه يكثر التزويج ويصطفى السبايا ويأكل لحم الدجاج ويحب الحلوى والعسل لم يعظم فى صدورهم .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه عليهم قدحهم فى العلماء بتناول المباحات وذلك من أقبح الجهل . وأكثر ميلهم إلى الغرباء فهم يؤثرون الغريب على أهل بلدهم ممن قد خبروا أمره وعرفوا عقيدته فيميلون إلى الغريب ولعله من الباطنية . وإنما ينبغى تسليم النفوس إلى من خبرت معرفته قال الله عز وجل ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓا إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾(1) ومنّ الله سبحانه فى ارسال محمد ﷺ إلى الخلق بأنهم يعرفون حاله فقال عز وجل ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾(2) وقال ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ ﴾(3) .

﴿ فصل ﴾ وقد يخرج بالعوام تعظيم المتزهدين إلى قبول دعاويهم وان خرقوا الشريعة وخرجوا عن حدودها . فترى المتنمس يقول للعامى : أنت فعلت بالأمس كذا وسيجرى عليك كذا فيصدقه . ويقول : هذا يتكلم على الخاطر ولا يعلم أن ادعاء الغيب كفر . ثم يرون من هؤلاء المتنمسين أموراً لا تحل كمؤاخاة النساء والخلوة بهن ولا ينكرون ذلك تسليما لهم أحوالهم

(1) سورة النساء آية ٦ .
(2) سورة آل عمران آية ١٦٤ .
(3) سورة البقرة آية ١٤٦ .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه على العوام اطلاقهم أنفسهم فى المعاصى فاذا وبخوا تكلموا كلام الزنادقة . فنهم من يقول : لا أترك نقداً لنسيئه . ولو فهموا لعلموا أن هذا ليس بنقد لأنه محرم وإنما يخير بين النقد والنسيئة المباحين فثلهم كثل محموم جاهل يأكل العسل فاذا عوتب قال الشهوة نقد والعافية نسيئة . ثم لو علموا حقيقة الايمان لعلموا أن تلك النسيئة وعد صادق لا يخلف . ولو عملوا عمل التجار الذين يخاطرون بكثير من المال لما يرجونه من الربح القليل لعلموا أن ما تركوه قليل وما يرجونه كثير . ولو أنهم ميزوا بين ما آثروا وما أفاتوا أنفسهم لرأوا تعجيل ما تعجلوا إذ فاتهم الربح الدائم وأوقعهم فى العذاب الذى هو الخسران المبين الذى لا يتلافى . ومنهم من يقول الرب كريم والعفو واسع والرجاء من الدين فيسمون تمنيهم واغترارهم رجاء وهذا الذى أهلك عامة المذنبين . قال أبو عمرو بن العلاء : بلغنى أن الفرزدق جلس إلى قوم يتذكرون رحمة الله فكان أوسعهم فى الرجاء صدرا فقالوا له : لم تقذف المحصنات . فقال : أخبرونى لو أذنبت إلى والدىّ ما أذنبته إلى ربى عز وجل أتراهما كانا يطيبان نفساً أن يقذفانى فى تنور مملوءاً جمرا . قالوا لا إنما كانا يرحمانك . قال : فأنى أوثق برحمة ربى منهما قلت : وهذا هو الجهل المحض لأن رحمة الله عز وجل ليست برقة طبع ولو كانت كذلك لما ذبح عصفور ولا أميت طفل ولا أدخل أحد إلى جهنم . وبإسناد عن عباد قال : الأصمعى كنت مع أبى نواس بمكة فإذا أنا بغلام أمرد يستلم الحجر الأسود . فقال لى أبو نواس . والله لا أبرح حتى أقبله عند الحجر الأسود.

فقلت : ويلك اتق الله عز وجل فإنك ببلد حرام وعند بيته الحرام فقال : ما منه بد . ثم دنا من الحجر فجاء الغلام يستلمه فبادر ابو نواس فوضع خده على خد الغلام فقبله وأنا أنظر فقلت ويلك أفي حرم الله عز وجل فقال دع ذا عنك فإن ربي رحيم ثم أنشد يقول:

وعاشقان التف خداهما عند استلام الحجر الأسود
فاشتفيا من غير أن يأثما كأنما كانا على موعد

قلت. انظروا إلى هذه الجرأة التي نظر فيها إلى الرحمة ونسي شدة العقاب بانتهاك تلك الحرمة . وقد ذكرنا في أول الكتاب هذا أن رجلا زنى بامرأة في الكعبة فسخا حجرين . ولقد دخلوا على أبي نواس في مرض موته فقالوا له تب إلى الله عز وجل فقال إياي تخوفون حدثني حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ . لكل نبي شفاعة وإني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي . أفترى لا أكون أنا منهم .

قال المصنف رحمه الله وخطأ هذا الرجل من وجهين . أحدهما أنه نظر إلى جانب الرحمة ولم ينظر إلى جانب العقاب . والثاني أنه نسي أن الرحمة إنما تكون فسائب كما قال عز وجل (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ[1]) وقال (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ[2]) وهذا التلبيس هو الذى يهلك عامة العوام وقد كشفناه في ذكر أهل الإباحة .

﴿ فصل ﴾ ومن العوام من يقول. هؤلاء العلماء يحافظون على الحدود فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا فأمري أنا قريب وكشف هذا التلبيس أن الجاهل والعالم في باب التكليف سواء فغلبه الهوى للعالم لا يكون عذراً للجاهل . وبعضهم يقول . ما قدر ذنبي حتى أعاقب . ومن انا حتى أؤاخذ ، وذنبي لا يضره وطاعتي لا تنفعه وعفوه أعظم من جرمي كما قال قائلهم :

من أنا عند الله حتى إذ أذنبت لا يغفرلي ذنبي

وهذه حماقة عظيمة كأنهم اعتقدوا أنه لا يؤاخذ إلا ضداً أو نداً . ثم ما علموا أنه بالمخالفة قد صاروا في مقام معاند ، وسمع بن عقيل رحمه الله رجلا يقول ، من أنا حتى يعاقبني الله، فقال : له أنت الذى لو أمات الله جميع

(١) سورة طه اية ٨٢ .

(٢) سورة الاعراف آية ١٥٦ .

الخلائق وبقيت أنت لكان قوله تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ[1]) خطاباً لك . ومنهم من يقول ، سأتوب واصلح ، وكم من ساكن الأمل من أبله فاختطفه الموت قبله ، وليس من الحزم تعجيل الخطأ وانتظار الصواب . وربما لم تتهيأ التوبة وربما لم تصح وربما لم تقبل ثم لو قبلت بقي الحياء من الجناية أبداً . فراراة خاطر المعصية حتى تذهب أسهل من معاناة التوبة حتى تقبل . ومنهم من يتوب ثم ينقض فيلح عليه إبليس بالمكائد لعلمه بضعف عزمه . وبإسناد عن الحسن أنه قال : إذا نظر إليك الشيطان ورآك على غير طاعة الله تعالى فنعاك وإذا رآك مداوماً على طاعة الله ملك ورفضك وإذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه عليهم أن يكون لأحدهم نسب معروف فيغتر بنسبه فيقول : أنا من أولاد أبو بكر . وهذا يقول . أنا من أولاد علي . وهذا يقول : أنا شريف من أولاد الحسن أوالحسين أو يقول . أنا قريب النسب من فلان العالم أومن فلان الزاهد وهؤلاء يبنون أمرهم على أمرين. أحدهما : أنهم يقلون من أحب إنساناً أحب أولاده وأهله . والثاني : أن هؤلاء : لهم شفاعة وأحق من شفعوا فيه أهلهم وأولادهم . وكلا الأمرين غلط أما المحبة فليست محبة الله عزوجل كمحبة الآدمين وإنما يحب من أطاعه فإن أهل الكتاب من أولاد يعقوب ولم ينتفعوا بآبائهم ولو كانت محبة الأب سرى لسرى إلى البعض أيضاً . وأما الشفاعة فقد قال الله تعالى (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ[2]) ولما أراد نوح حمل ابنه في السفينة قيل له « إنه ليس من أهلك » ، ولم يشفع إبراهيم في أبيه ولا نبينا في أمه وقد قال ﷺ لفاطمة رضي الله عنها . « لا أغني عنك من الله شيئاً » ومن ظن أنه ينجو بنجاة أبيه كان كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه .

﴿فصل﴾ ومن تلبيسه عليهم أن يعتمد أحدهم على خلة خير ولا يبالي بما فعل بعدها . فنهم من يقول : أنا من أهل السنة وأهل السنة على خير ثم لا يتحاشى عن المعاصي . وكشف هذا التلبيس أن يقال له إن الاعتقاد فرض والكف عن العاصي فرض آخر فلا يكفي أحدهما عن صاحبه . وكذلك

(١) سورة النساء آية ١ .
(٢) سورة الانبياء آية ٢٨ .

تقول الروافض : نحن يدفع عنا موالاة أهل البيت وكذبوا فإنه إنما يدفع التقوى . ومنهم من يقول أنا ألازم الجماعة وأفعل الخير وهـذا يدفع عنى وجوابه كجواب الأول .

(فصل) ومن هذا الفن تلبيسه على العيارين فى اخذ أموال الناس فانهم يسمون بالفتيان ويقولون : الفتى لا يزنى ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة ومع هذا لا يتحاسون من أخذ أموال الناس وينسون ثقل الأكباد على الأموال ويسمون طريقتهم الفتوة . وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ويجعلون إلباس السراويل للداخل فى مذهبهم كإلباس الصوفيه للمريد المرقعة وربما يسمع أحد هؤلاء عن ابنته أو أخته كلمة وزر لا تصح وربما كانت من عرض فقتلها ويدعون أن هذه فتوة . وربما افتخر أحدهم بالصبر على الضرب . وباسناد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه كان يقول : كنت كثيراً أسمع والدى أحمد بن حنبل يقول: رحم الله أبا الهيثم فقلت من أبو الهيثم ؟ فقال أبو الهيثم الحداد : لما مددت يدى إلى العقاب وأخرجت للسياط إذا أنا بانسان يجذب ثوبى من ورائى ويقول لى: تعرفنى قلت لا ، قال أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار مكتوب فى ديوان أمير المؤمنين إنى ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت فى ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبر أنت فى طاعة الرحمن لأجل الدين ، قلت : أبو الهيثم هذا يقال له خالد الحداد . وكان يضرب المثل بصبره . وقال له المتوكل ما بلغ من جلدك قال املأ لى جرابى عقارب ثم أدخل يدى فيه وأنه ليؤلمنى ما يؤلمك وأجد لآخر سوط من الألم ما أجد لأول سوط ولو وضعت فى فمى خرقة وأنا أضرب لاحترقت من حرارة ما يخرج من جوفى ولكننى وطنت نفسى على الصبر ، فقال له الفتح ويحك مع هذا اللسان والعقل ما يدعوك إلى ما أنت عليه من الباطل . فقال أحب الرياسة . فقال المتوكل نحن خليدية . وقال الفتح أنا خليدى . وقال رجل لخالد يا خالد ما أنتم لحوم ودماء فيؤلمكم الضرب . فقال بلى يؤلمنا ولكن معنا عزيمة صبر ليست لكم . وقال داود بن على لما قدم بخالد اشتهيت أن أراه

فضيت إليه فوجدته جالساً غير متمكن لذهاب لحم إليتيه من الضرب وإذا حوله فتيان فجعلوا يقولون . ضرب فلان ، وفعل بفلان كذا ، فقال لهم . لا تتحدثون عن غيركم افعلوا أنتم حتى يتحدث عنكم غيركم .

قال المصنف رحمه الله : فانظروا إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء فيصبرون على شدة الألم ليحصل لهم الذكر ولو صبروا على يسير التقوى لحصل لهم الأجر والعجب أنهم يظنون لحالهم مرتبة وفضيلة مع ارتكاب العظائم .

﴿ فصل ﴾ ومن العوام من يعتمد على نافلة ويضيع فرائض . مثل أن يحضر المسجد قبل الأذان ويتنفل فإذا صلى مأموماً سابق الإمام . ومنهم من لا يحضر فى أوقات الفرائض ويزاحم ليلة الرغائب . ومنهم من يتعبد ويبكى وهو مصر على الفواحش لا يتركها . فإن قيل له قال : سيئة وحسنة والله غفور رحيم وجمهورهم يتعبد برأيه فيفسد أكثر مما يصلح . ورأيت رجلا منهم قد حفظ القرآن وتزهد ثم حب نفسه وهذا من أفحش الفواحش.

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على خلق كثير من العوام يحضرون مجالس الذكر ويبكون ويكتفون بذلك ظناً منهم أن المقصود الحضور والبكاء لأنهم يسمعون فضل الحضور فى مجالس الذكر . ولو علموا أن المقصود إنما هو العمل وإذا لم يعمل بما يسمع كان زيادة فى الحجة عليه.وانى لأعرف خلقاً يحضرون المجلس منذ سنين ويبكون ويخشعون ولا يتغير أحدهم عما قد اعتاده من المعاملة فى الربا والغش فى البيع والجهل بأركان الصلاة والغيبة للمسلمين والعقوق للوالدين وهؤلاء قد لبس عليهم إبليس فأراهم أن حضور المجلس والبكاء يدفع عنه مايلابس من الذنوب . وأرى بعضهم ان مجالسة العلماء والصالحين يدفع عنكم . وشغل آخرين بالتسويف بالتوبة فطال عليهم مطالهم . وأقام قوماً منهم للتفرج فيما يسمعونه وأهملوا العمل به .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على أصحاب الأموال من أربعة أوجه . أحدها : من جهة كسبها فلا يبالون كيف حصلت وقد فشا الربا فى أكثر معاملاتهم وأنسوه حتى أن جمهور معاملاتهم خارجة عن الاجماع وقد روى

أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال «ليأتين على الناس زمان لا يبالى المرء من أين أخذ المال من حلال أو حرام» والثانى: من جهة البخل بها فنهم من لا يخرج الزكاة أصلا إنكالا على العفو. ومنهم من يخرج بعضها ثم يغلبه البخل فينظر أن المخرج يدفع عنه. ومنهم من يحتال لاسقاطها مثل أن يهب المال قبل الحول ثم يسترده. ومنهم من يحتال بإعطاء الفقير ثوباً يقومه عليه بعشرة دنانير وهو يساوى دينارين ويظن ذلك الجهل أنه قد تخلص. ومنهم من يخرج الردىء مكان الجيد ومنهم من يعطى الزكاة لمن يستخدمه طول السنة فهى على الحقيقة أجره. ومنهم من يخرج الزكاة كما ينبغى فيقول له إبليس مابقى عليك فيمنعه أن يتنفل بصدقة حباً للمال فيفوته أجر المتصدقين ويكون المال رزق غيره.

وبإسناد عن الضحاك عن ابن عباس قال: أول ماضرب الدرهم أخذه إبليس فقبله ووضعه على عينه وسرته وقال بك أطغى وبك أكفر. رضيت من ابن آدم بحبه الدينار من أن يعبدنى وعن الأعمش عن شقيق عن عبدالله قال: إن الشيطان يرد الإنسان بكل ريدة فإذا أعياه اضطجع فى ماله فيمنعه أن ينفق منه شيئا. والثالث من حيث التكثير بالأموال فإن الغنى يرى نفسه خيراً من الفقير وهذا جهل لأن الفضل بفضائل النفس اللازمة لها لا بجمع حجارة خارجة عنها كما قال الشاعر.

غنى النفس لمن يعقل خير من غنى المال
وفضل النفس فى الأنفس ليس الفضل فى الحال

والرابع فى إنفاقها. فنهم من ينفقها على وجه التبذير والإسراف، تارة فى البنيان الزائد على مقدار الحاجة وتزويق الحيطان وزخرفة البيوت وعمل الصور. وتارة فى اللباس الخارج بصاحبه إلى الكبر والخيلاء، وتارة فى المطاعم الخارجة إلى السرف. وهذه الأفعال لا يسلم صاحبها من فعل محرم أو مكروه وهو مسئول عن جميع ذلك.

وباسناد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «ياابن آدم لا تزول قدماك يوم القيامة بين يدى الله عز وجل حتى تسأل عن أربع عمرك فيما

أفنيته وجسدك فيما أبليته ومالك من أين اكتسبته وأين أنفقته . ومنهم من ينفق فى بناء المساجد والقناطر إلا أنه يقصد الرياء والسمعة وبقاء الذكر فيكتب اسمه على ما بنى ولو كان عمله لله عز وجل لاكتفى بعلمه سبحانه وتعالى ولو كلف أن يبنى حائطاً من غير أن يكتب اسمه عليه لم يفعل . ومن هذا الجنس إخراجهم الشمع فى رمضان فى الأنوار طلباً للسمعة ومساجدهم طول السنة مظلمة لأن اخراجهم قليلا من دهن كل ليلة لا يؤثر فى المدح ما يؤثر فى إخراج شمعة فى رمضان ولقد كان أغناء الفقراء بثمن الشمع أولى ولربما خرجت الأضواء الكثيرة السرف الممنوع منه غير ان الرياء يعمل عمله . وقد كان احمد بن حنبل يخرج إلى المسجد وفى يده سراج فيضعه ويصلى . ومنهم من إذا تصدق أعطى الفقير والناس يرونه فيجمع بين قصده مدحهم وبين إذلال الفقير . وفيهم من يجعل منه الدنانير الخفاف فيكون فى الدينار قيراطان ونحو ذلك وربما كانت رديئة فيتصدق بها بين الجمع مكشوفة ليقال قد أعطى فلان فلاناً ديناراً وبالعكس من هذا كان جماعة الصالحين المتقدمين يجعلون فى القرطاس الصغير ديناراً ثقيلا يزيد وزنه على دينار ونصف ويسلمونه إلى الفقير فى سر فاذا رأى قرطاساً صغيراً ظنه قطعة فاذا لمسه وجد تدوير دينار ففرح فاذا فتحه ظنه قليل الوزن فاذا رآه ثقيلا ظنه يقارب الدينار فاذا وزنه فراه زائداً على الدينار اشتد فرحه فالثواب يتضاعف للمعطى عند كل مرتبة . ومنهم من يتصدق على الأجانب ويترك بر الأقارب وهم أولى وباسناد عن سليمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « الصدقة على المسكين صدقة والصدقة على ذوى الرحم اثنتان صدقة وصلة » . ومنهم من يعلم فضيلة التصدق على القرابة إلا أن يكون بينهما عداوة دنيوية فيمتنع من مواساته مع علمه بفقره ولو واساه كان له أجر الصدقة والقرابة ومجاهدة الهوى . وقد روى عن أبى أيوب الأنصارى قال قال رسول الله ﷺ « إن أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح » .

قال المصنف رحمه الله ، وانما قبلت هذه الصدقة وفضلت لمخالفة الهوى فان من تصدق على ذى قرابة يحبه فقد اتفق على هواه . ومنهم من يتصدق

ويضيق على أهله في النفقة . وقد روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى وأبدأ بمن تعول » وباسناد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «تصدقوا فقال رجل عندى دينار فقال تصدق به على نفسك . قال عندى دينار آخر قال تصدق به على زوجتك قال عندى دينار آخر قال تصدق به على ولدك . قال عندى دينار آخر قال تصدق به على خادمك . قال عندى آخر قال أنت أبصر به » . ومنهم من ينفق في الحج ويلبس عليه ابليس بأن الحج قربة وإنما مراده الرياء والفرجة ومدح الناس . قال رجل لبشر الحافي . اعددت ألفي درهم للحج . فقال: احججت؟ قال نعم، قال: اقض دين مدين قال: ما تميل نفسى إلا الى الحج قال مرادك أن تركب وتجيء ويقال فلان حاجي . ومنهم من ينفق على الأوقات والرقص ويرمى الثياب على المغني . ويلبس عليه ابليس بأنك تجمع الفقراء وتطعمهم وقد بينا أن ذلك أن مما يوجب فساد القلوب ومنهم من إذ جهز ابنته صاغ لها دست الفضة ويرى الأمر في ذلك قربة وربما كانت له ختمة فتقدم مجامر الفضة ويحضر هناك قوم من العلماء فلا هو يستعصم ما فعل ولا هم ينكرون اتباعا للعادة . ومنهم من يجوز في وصيته ويحرم الوارث ويرى أنه ماله يتصرف فيه كيف شاء وينسى أنه بالمرض قد تعلقت حقوق الوارثين به . وباسناد عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ « من حاف عند الوصية قذف في الوباء ، والوباء واد في جهنم . وعن الأعمش عن خيثمة قال: قال رسول الله ﷺ « ان الشيطان يقول ما غلبني عليه ابن آدم فلن يغلبني على ثلاث آمره بأخذ المال من غير حقه وآمره بانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه » .

ـ فصل ـ وقد لبس إبليس على الفقراء فمنهم من يظهر الفقر وهو غنى فان أضاف إلى هذا السؤال والأخذ من الناس فانما يستكثر من نار جهنم . اخبرنا ابن الحصين باسناده عن محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « من سأل الناس أموالهم تكثراً فانما يسأل جمراً فليستقل منه أو ليستكثر » وإن لم يقبل هذا الرجل من الناس شيئاً وكان مقصوده باظهار الفقر أن يقال رجل زاهد فقد رآى . وإن

كتم نعمة الله عنده ليظهر عليه الفقر لئلا ينفق فى ضمن بخله الشكوى من الله .

وقد ذكرنا فيما تقدم أن رسول الله ﷺ رأى رجلا بادى الهيئة فقال « هل لك من مال . قال نعم . قال فلتر نعمة الله عليك » . وإن كان فقيراً محقاً فالمستحب له كتمان الفقر وإظهار التجمل فقد كان فى السلف من يحمل مفتاحاً يوهم أن له داراً ولا يبيت إلا فى المساجد .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيس إبليس على الفقراء أنه يرى نفسه خيراً من الغنى إذ قد زهد فيما رغب ذلك الغنى فيه وهـذا غلط وان الخيرية ليست بالوجود والعدم وانما هى بأمر وراء ذلك .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على جمهور العوام بالجريان مع العادات وذلك من أكثر أسباب هلاكهم . فن ذلك أنهم يقلدون الآباء والأسلاف فى اعتقادهم على ما نشئوا عليه من العادة فترى الرجل منهم يعيش خمسين سنة على ما كان عليه أبوه ولا ينظر أكان على صواب أم على خطأ . ومن هذا تقليد اليهود والنصارى والجاهلية أسلافهم وكذلك المسلمون يجرون فى صلاتهم وعباداتهم مع العادة فترى لرجـل يعيش سنين يصلى على صورة ما رأى الناس يصلون ولعله لا يقيم الفاتحة ولا يدرى ما الواجبات ولا يسهل عليه أن يعرف ذلك هواناً بالدين ولو أنه أراد تجارة لسأل قبل سفره عما ينفق فى ذلك البلد، ثم ترى أحدهم يركع قبل الإمام ويسجد قبل الإمام ولا يعلم أنه إذا ركع قبله فقد خالفه فى ركن فإذا رفع قبله فقد خالفه فى ركنين فبطلت صلاته وقد رأيت جماعة يسلمون عند تسليم الإمام وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شىء وذاك أمر لا يحمله الإمام فتكون صلاته باطلة . وربما يترك أحـدهم فريضه وزاد فى نافلة . وربما أهمل غسل بعض العضو كالعقب وربما كان فى يده خاتم قد حصر الأصبع فلا يديره وقت الوضوء ولا يصل الماء إلى ما تحته فلا يصح وضوؤه وأما بيعهم وشراؤهم فأكثر عقودهم فاسدة ولا يتعرفون حكم الشرع فيها ولا يخف على أحدهم أن يقلد فقيها فى رخصته استقلالا منهم للدخول تحت حكم الشريعة . وقل

أن يبيعوا شيئاً إلا وفيه غش ويغطيه عيب . والجلاء يغطى عيوب الذهب الردىء حتى أن المرأة تضع الغزل فى الانداء وتنديه ليثقل وزنه .

ومن جريانهم مع العادة أن أحدهم يتوانى فى صلاته المفروضة فى رمضان ويفطر على الحرام،ويغتاب الناس ، وربما لو ضرب بالخشب لم يفطر فى العادة لأن فى العادة استبشاع الفطر .ومنهم من يدخل فى الربا بالاستئجار فيقول معى عشرون ديناراً لا املك غيرها فان أنفقتها ذهبت وأنا أستأجر بها داراً وآكل أجرة الدار ظناً منه إن هذا الأمر قريب .ومنهم من يرهن الدار على شىء ويؤدى ويقول هذا موضع ضرورة وربما كانت له دار أخرى وفى بيته آلات لو باعها لاستغنى عن الرهن والاستئجار ولكنه يخاف على جاهه أن يقال قد باع داره أو انه يستعمل الخزف مكان الصفر . ومما جروا فيه على العادات اعتمادهم على قول الكاهن والمنجم والعراف وقد شاع ذلك بين الناس واستمرت به عادات الأكابر فقل أن ترى أحداً منهم يسافر أو يفصل ثوباً أو يحتجم إلا سأل المنجم وعمل بقوله ولا تخلو دورهم من تقويم وكم من دار لهم ليس فيها مصحف . وفى الصحيح عن النبى ﷺ انه سأل عن الكهان « فقال : ليسوا بشىء .فقالوا يارسول الله إنهم يحدثون أحياناً بالشىء يكون حقاً . فقال رسوله الله ﷺ . تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه نقر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة .

وفى صحيح مسلم عن النبى ﷺ أنه قال « من أتى عرافاً فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » وروى أبو داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برىء مما أنزل على محمد ﷺ » ومن جريانهم مع العادات كثرة الإيمان الحانثة التى أكثرها ظهاروهم لايعلمون فأكثر قولهم فى الإيمان حرام علىَّ ان بعت، ومن عاداتهم لبس الحرير والتختم بالذهب ، وربما تورع أحدهم عن لبس الحرير ثم لبسه فى وقت كالخطيب يوم الجمعة ، ومن عاداتهم إهمال انكار المنكر حتى أن الرجل يرى أخاه أو قريبه يشرب الخمر ويلبس الحرير فلا

ينكر عليه ولا يتغير بل يخالطه مخالطة حبيب ، ومن عاداتهم أن يبني الرجل على باب داره مصطبة يضيق بها طريق المارة وقد يجتمع على باب داره ماء مطر ويكثر فيجب عليه إزالته وقد أثم بكونه كان سبباً لأذى المسلمين ، ومن عاداتهم دخول الحمام بلا مئزر وفيهم من إذا دخل بمئزر رمى به على فخذه فيرى جوانب اليته ويسلم نفسه الى المدلك فيرى بعض عورته ويمسها بيده لأن العورة من السرة إلى الركبه ثم ينظر هؤلاء إلى عورات الناس ولا يكاد يغض ولا ينكر . ومن عادتهم ترك القيام بحق الزوجة وربما اضطروها إلى أن تسقط مهرها ويظن الزوج أنه قد تخلص بما قد أسقطته عنه . وقد يميل الرجل إلى إحدى زوجتيه دون الأخرى فيجوز فى القسم متهاونا بذلك ظناً ان الأمر فيه قريب فقد روى أبو هريرة . رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من كانت له امرأتان يميل إلى إحدهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر احدى شقيه ساقطاً أو مائلا » ومن عادتهم اثبات الفلس عند الحاكم ويعتقد الذى قد حكم له بالفلس أنه قد سقطت عنه بذلك الحقوق وقد يوسر ولا يؤدى حقا . ومنهم من لا يقوم من دكانه بحجة الفلس إلا وقد جمع مالا من أموال المعاملين فأضربه ينفقه فى مدة استتارة وعنده إن الأمر فى ذلك قريب . ومما جروا فيه على العادات أن الرجل يستأجر ليعمل طول النهار فيضيع كثيراً من الزمان إما بالتثبط فى العمل أو بالبطالة أو بإصلاح آلات العمل مثل أن يحد النجار الفأس والشقاق المنشار ومثل هذا خيانة إلا أن يكون ذلك يسيراً قد جرت العادة بمثله . وقد يفوت أكثرهم الصلاة ويقول أنا فى إجارة رجل ولا يدرى أن أوقات الصلاة لا تدخل فى عقد الإجارة . وقلة نصحهم فى أعمالهم كثيرة ومما جروا فيه على العادة دفن الميت فى التابوت وهذا فعل مكروه وأما الكفن فلا يتباهى فيه بالمغالاة ينبغى أن يكون وسطا . ويدفنون معه حلة من الثياب وهذا حرام لأنه إضاعة للمال ويقيمون النوح على الميت ، وفى صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : « أن النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » ومن عاداتهم اللطم وتمزيق الثياب وخصوصاً

النساء . وفى الصحيحين أن النبي ﷺ قال : ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعى بدعوى الجاهلية، وربما رأوا المصاب قد شق ثوبه فلم ينكروا عليه لا بل ربما أنكروا ترك شق الثوب وقالوا ما أثرت عنده المصيبة.ومن عاداتهم يلبسون بعد الميت الدون من الثياب ويبقون على ذلك شهراً أو ستة وربما لم يناموا هذه المدة فى سطح.ومن عاداتهم زيارة المقابر فى ليلة النصف من شعبان وإيقاد النار عندها وأخذ تراب القبر المعظم . قال ابن عقيل لما التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم كفار عندى بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالألواح وكتب الرقاع فيها يامولاى أفعل بى كذا وكذا وأخذ التراب تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ولا تجد فى هؤلاء من يحقق مسألة فى زكاة فيسال عن حكم يلزمه : والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكهف ولم يتمسح بآجرة مسجد المأمونية يوم الأربعاء ولم يقل الحالون على جنازته أبو بكر الصديق أو محمد وعلى . ولم يكن معها نياحة . ولم يعقد على أبيه أزجاً بالجص والآجر ولم يشق ثوبه إلى ذيله ولم يرق ماء الورد على القبر ويدفن معه ثيابه .

(فصل) وأما تلبيس إبليس على النساء فكثير جداً وقد أفردت كتاباً للنساء ذكرت فيه ما يتعلق بهن من جميع العبادات وغيرها وأنا أذكر ههنا كلمات من تلبيس إبليس عليهن فن ذلك أن المرأة تطهر من الحيض بعد الزوال فتغتسل بعد العصر فتصلى العصر وحدها وقد وجبت عليها الظهر وهى لا تعلم وفيهن من يؤخر الغسل يومين وتحتج بغسل ثيابها وغسلهم ودخول الحمام : وقد تؤخر غسل الجنابة فى الليل إلى أن تطلع الشمس . فإذا دخلت الحمام لم تتزر بمئزر وتقول ما دخل إلىّ إلا القيمة . وربما قالت أنا وأختى وأمى وجاريتى وهن نساء مثلى فمن أستتر وهذا كله حرام . فالأن تخير الغسل بغير عذر لا يجوز ولا يحل للمرأة أن تنظر من المرأة

مابين سرتها وركبتها ولو كانت ابنتها وأمها إلا أن تكون البنت صغيرة فإذا بلغت سبع سنين استترت واستتر منها وقد تصلى المرأة قاعدة وهى تقدر على القيام فالصلاة حينئذ باطلة . وقد تحتج بنجاسة فى ثوبها من بول طفلها وهى تقدر على غسله ولو أرادت الخروج إلى الطريق لتهيأت واستعارت وإنما هان عندها أمر الصلاة وقد لا تعرف من واجبات الصلاة شيئاً ولا تسأل . وقد ينكشف من الحرة ما يبطل صلاتها وتستهين به . وقد تستهين المرأة بإسقاط الحبل ولا تدرى أنها إذا أسقطت ما قد نفخ فيه الروح فقد قتلت مسلماً وقد تستهين بالكفارة الواجبة عليها عند ذلك الفعل فانه يجب عليها أن تتوب وتؤدى ديته إلى ورثته وهى غرة عبد أو أمة قيمتها نصف عشر دية أبيه أو عشر دية الأم ولا ترث الأم من ذلك شيئاً ثم تعتق رقبة فان لم تجد صامت شهرين متتابعين . وقد تسيء الزوجة عشرتها مع الزوج وربما كلمته بالمكروه وتقول هذا أبو أولادى وما بيننا هذا وتخرج بغير إذنه وتقول ما خرجت فى معصية ولا تعلم أن خروجها بغير إذنه معصية . ثم نفس خروجها لا يؤمن منه فتنة . وفيهن من تلازم القبور وتحد لا على الزوج وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : لا يحل لامرأة تؤمن بالله ورسوله أن تحد على ميت إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً . ومنهم من يدعوها زوجها إلى فراشه فتأبى وتظن هذا الخلاف ليس بمعصية وهى منهية عنه لما روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فباتت وهو عليها ساخط لعنتها الملائكة حتى تصبح » أخرجاه فى الصحيحين وقد تفرط المرأة فى مال زوجها ولا يحل لها أن تخرج من بيته شيئاً إلا أن يأذن لها أو تعلم رضاه . وقد تعطى من ينجم لها بالحصى ويسحر ومن تعمل لها نسخة محبة وعقد لسان وكل هذا حرام ، وقد تستجيز ثقب آذان الأطفال وهو حرام فان أفلحت وحضرت مجلس الواعظ فربما لبست خرقة من يد الشيخ الصوفى وتصالحه فصارت من بنات المنبر فخرجت إلى عجائب ، وينبغى أن نكف عنان العلم اقتصاراً على هذه النبذة فان هذا الأمر يطول ولو بسطنا النبذ المذكورة فى هذا الكتاب أو شيدنا ردنا على من رددنا

عليه بالأحاديث والآثار لاجتمعت مجلدات ، وإنما ذكرنا اليسير ليدل على الكثير وقد اقتنعنا فى ذكر فاحش القبيح من أفعال الغالطين بنفس حكايته دون تعاطى رده لأن الأمر فيه ظاهر والله يعصمنا من الزلل ويوفقنا لصالح القول والعمل بمنه وكرمه .

الباب الثالث عشر

تلبيسه على الناس أجمعين بطول الأمل

قال المصنف رحمه الله : كم قد خطر على قلب يهودى ونصرانى حب الإسلام فلا يزال إبليس يثبطه ويقول لا تعجل وتمهل فى النظر فيسوفه حتى يموت على كفره وكذلك يسوف العاصى بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنيه الإنابة كما قال الشاعر :

لا تعجل الذنب لما تشتهى وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجد سوفه ، وكم ساع إلى فضيلة ثبطه . فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال استرح ساعة أوانتبه العابد فى الليل يصلى فقال له عليك وقت . ولا يزال يحبب الكسل ويسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل فينبغى للحازم أن يعمل على الحزم والحزم تدارك الوقت وترك التسوف والاعراض عن الأمل فإن المخوف لا يؤمن والفوات لا يبعث وسبب كل تقصير فى خير ، أو ميل أن شر طول الأمل فان الإنسان لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشر والاقبال على الخير إلا أنه يعد نفسه بذلك ولا ريب أنه من الأمل أن يمشى بالنهار سار سيراً فاتراً ومن أمل أن يصبح عمل فى الليل عملا ضعيفاً ومن صور الموت عاجلا جد ، وقد قال ﷺ « صل صلاة مودع » وقال بعض السلف : أنذركم سوف فإنها أكبر جنود إبليس : ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل كل قوم فى سفر فدخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وجس متأهباً للرحيل : وقال المفرط سأتأهب فربما أقمنا شهراً ، فضرب بوق الرحيل فى الحال فاغتبط المحترز واغتبط الآسف المفرط فهذا مثل الناس فى الدنيا منهم المستعد المستيقظ فإذا جاء ملك الموت لم يندم ومنهم المغرور المسوف يتجرع مرير الندم وقت الرحلة فإذ كان فى الطبع حب التوانى وطول الأمل ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى مافى الطبع صعبت المجاهدة إلا أنه من انتبه لنفسه علم أنه فى صف حرب وأن عدوه لا يفتر عنه فإن افترق الظاهر بطن له مكيدة وأقام له كميناً ونحن نسأل الله عز وجل السلامة من كيد العدو وفتن الشيطان وشر النفوس والدنيا انه قريب مجيب جعلنا الله من أولئك المؤمنين .

تم والحمد لله أولا وآخرا

الفهرس

الموضوع | رقم الصفحة

ذكر تلبيسه على الصوفية ٣٠٥

ذكر تلبيسه على الصوفية فى ترك التداوى ٣١٦

ذكر تلبيسه فى ترك الجمعة ٣١٧

ذكر تلبيسه فى التخشع ٣١٩

ذكر تلبيسه فى ترك النكاح ٣٢١

ذكر تلبيسه فى ترك الأولاد ٣٢٥

ذكر تلبيسه فى الأسفار والسياحة ٣٢٦

ذكر تلبيسه فى دخول الفلاة ٣٢٨

ما جرى للصوفية فى أسفارهم ٣٣٢

ذكر تلبيسه على الصوفية فى السفر ٣٤٦

ذكر تلبيسه على الصوفية فى الموت ٣٤٧

ذكر تلبيسه على الصوفية فى ترك التشاغل ٣٤٩

ذكر تلبيسه على جماعة من القوم فى دفن كتب العلم ٣٥٤

ذكر تلبيسه على الصوفية فى إنكارهم من تشاغل بالعلم ٣٥٧

الموضوع	رقم الصفحة

ذكر تلبيسه على الصوفية فى كلامهم فى العلم ٣٥٩

ذكر تلبيسه فى الشطح والدعاوى ٣٧٠

بيان جملة فردية على الصوفية فى الأفعال المنكرة ٣٧٩

الباب الحادى عشر :

ذكر تلبيسه على المتدينين ٤٠٩

الباب الثانى عشر

ذكر تلبيسه على العوام ٤٢٣

الباب الثالث عشر

ذكر تلبيسه على جميع الناس ٤٤٣

رقم الايداع ١٩٩٢/٨٢٤٣

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية

الثمن ٣٠٠ قرش

مطابع الأوفست
شركة الإعلانات الشرقية